


# منهج المدرسة الأندلسية في التفسير

## صفاته وخصائصه



تأليف
أ.د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ ورئيس قسم الدراسات القرآنية
كلية المعلمين - بالرياض

مكتبة
التوبة

دراسات قرآنية
(٤)

# منهج المدرسة الأندلسية في التفسير

## صفاته وخصائصه

تأليف
أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي
أستاذ ورئيس قسم الدراسات القرآنية
كلية المعلمين - بالرياض

مكتبة
التوبة

ⓗ مكتبة التوبة، ١٤١٧ هـ.

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

الرومي، فهد عبد الرحمن

منهج المدرسة الأندلسية في التفسير: صفاته وخصائصه .ـ الرياض.

... ص؛ .. سم

ردمك ٦ ـ ٦ ـ ٩١٣٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القرآن ـ تفسير    أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٧    ١٧/١٢٩٩

رقم الإيداع: ١٧/١٢٩٩

ردمك ٦ ـ ٦ ـ ٩١٣٠ ـ ٩٩٦٠



الطبعة الأولى

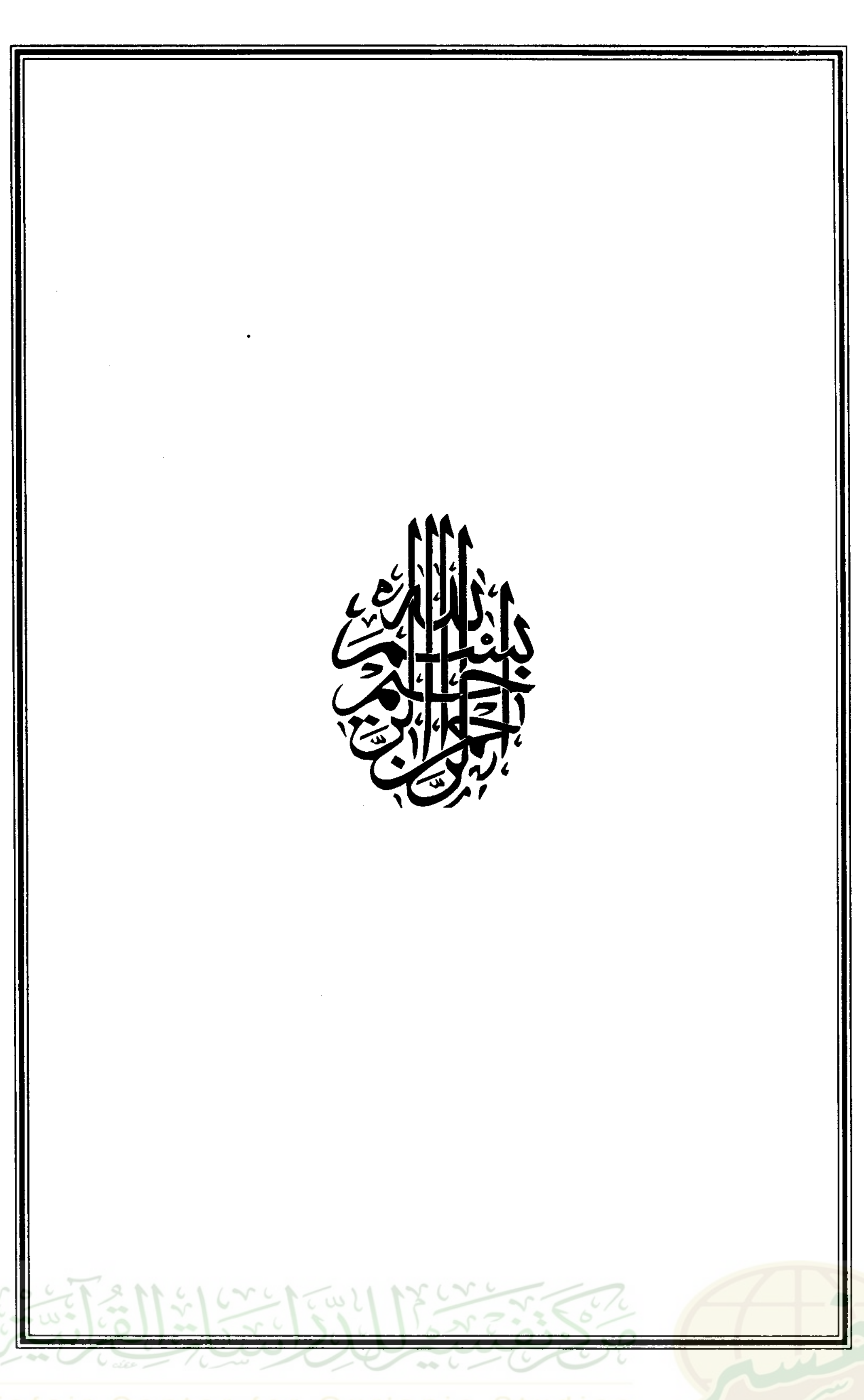
١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م

عنوان المؤلف:

أ.د فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي

ص.ب. ١٥١٧٦ الرياض ١١٤٤٤

السعودية. هاتف: ٤٧٦٦٢٧٩


بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فقد شرف الله هذه الأمة بنزول القرآن الكريم عليها فكانت خير أمة أخرجت للناس تأمر بأوامره وتنهى عن نواهيه.

وهو دستورها ونظامها وقوامها، به رفعتها وعزتها، وبه قوتها وعظمتها، فأقبلت عليه تلاوة وحفظاً وتفسيراً وعملاً، وأينما ساروا فهو أمامهم وإمامهم وأين اتجهوا فهو دليلهم، ما إن يفتحوا بلداً حتى ينشروه بين أهله، ويعلموهم إياه، ويفسروه لهم. هكذا كان شأنهم، وهكذا كان منهجهم.

فتحوا البلاد شرقاً وغرباً وصار المدعوون دعاة، وكلما فتحت بلاد شارك أهلها في فتح البلاد التي بعدها حتى وصلت الجيوش الإسلامية في فترة وجيزة إلى الصين شرقاً وإلى بلاد الأندلس غرباً.

ولم يكن إقبال من في أقصى المغرب بأقل من إقبال أهل المشرق.

فهذه الأندلس أقصى البلاد الإسلامية غرباً بلغهم القرآن فدرسوه

وتلوه، وحفظوه، وفسروه، فأعطوه من أعمارهم، وأعطاهم من هديه، فانكشف لهم من المعاني، وظهر لهم من المعارف، ما لم يظهر لغيرهم فذهبوا يكتبون ويدونون فإذا تفاسيرهم رائدة التفاسير.

فحق لهذا العلم ولهؤلاء العلماء أن يحتفل به وأن يحتفل بهم، ولئن ضاقت هذه العجالة عن استيعاب مزايا تفسيرهم، وقواعد منهجهم، فلن تضيق عن الإشارة إليها.

وما دام الأمر كذلك فقد كان عنوان هذا البحث:

## منهج المدرسة الأندلسية في التفسير
## صفاته وخصائصه

لم أقصد به الاستيفاء والشمول، ولا الاستقصاء والاستيعاب، وإنما ضرب المثل، وتقريب المعنى فذاك يحتاج إلى المجلدات الطوال، والمقام هنا مقام إيجاز واختصار.

أدعو الله تعالى أن ينفع بما كتبت وأن يجعله خالصاً لوجهه إنه سميع مجيب.

**الباحث**

**أ.د. فهد بن عبد الرحمن الرومي**





# المدرسة الأندلسية في التفسير

## تعريفها:

لم يكن فتح المسلمين للأندلس فتحاً لأرض وإنما كان فتحاً في العقيدة، فقد انتشرت القيم والمبادىء الإسلامية في تلك البلاد ودخل الناس في دين الله أفواجاً. لذا فقد كان أول عمل يقوم به المسلمون في البلاد المفتوحة هو بناء المسجد كما فعل عقبة بن نافع في أفريقية حين بني القيروان فكان أول شيء خطه فيها الجامع[1]، وأول شيء أقامه موسى بن نصير مسجد في الجزيرة الخضراء في الأندلس[2].

ولم يكن المسجد مكاناً للصلاة فحسب إذ كان يمتلىء بحلق التعليم بل كان جامعة ولا تزال مساجد في أفريقيا كذلك كالجامع الأزهر، وجامع الزيتونة، وجامع القيروان وكذلك كان الأمر في الأندلس فليس لأهل الأندلس - كما يقول المقري - مدارس تعينهم على طلب العلم بل يقرؤن جميع العلوم في المساجد[3]. ثم انتشرت المدارس والمعاهد وتوسعت المساجد في حلقاتها وانتشرت خزائن الكتب وأنشئت الجامعات في المدن الكبرى في الأندلس فكانت منارة العلم في أوروبا كلها زمناً طويلاً.

---

(١) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أبو زيد عبد الرحمن الدباغ، ج١، ص١٠.

(٢) المرجع السابق: ج١ ص٧٣.

(٣) نفح الطيب: المَقَّرِيّ: ج١ ص٢٠٥.

وحين دخل الإسلام تلك البلاد دخلت معه العلوم الإسلامية بعد أن تجاوز بعضها أدوار النشأة في المشرق العربي، فقد استفاد الأندلسيون من مدارس التفسير المشهورة في المشرق (مدرسة ابن عباس ـ رضي الله عنهما)، (ومدرسة ابن مسعود ـ رضي الله عنه)، (ومدرسة أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه) كما استفادوا من كتب التفسير المشهورة في المشرق كتفسير الطبري والماوردي والزمخشري، ولهذا كان للتفاسير الأندلسية مكانة كبيرة.

وعليه فإن نشأة التفسير في الأندلس تختلف عن نشأته في المشرق، فنشأته في المشرق نشأة ولادة وتكوين، وأما في الأندلس فتلقي وإضافة.

وقد حدث اتصال وارتحال بين علماء التفسير في المشرق والمغرب والأندلس، فرحلت طائفة من المغرب إلى الأندلس كما رحل علماء من الأندلس إلى المشرق وحتى لا يحدث خلط بين هؤلا وهؤلاء، فإنا قد اعتبرنا من رجال المدرسة من اتصف بثلاث صفات:

١ ـ أن تكون ولادته في الأندلس.
٢ ـ أن ينشأ فيها فلا يرحل في صغره.
٣ ـ أن يكون تعليمه الأولي وثقافته الأولى على أرض الأندلس.

ولا يهمنا بعد ذلك أن يرحل من الأندلس بعد أن أصطبغ بصبغتها وتأثر بعلمائها والتزم منهجها، فأبو حيان تلقى ثقافته الأولى في الأندلس ونشأ فيها ثم رحل إلى مصروفيها كتب تفسيره (البحر المحيط) فلم يتأثر بالثقافة المصرية، بل حارب الصوفية وشنع على الفلاسفة وكان لهما انتشار في مصر حينذاك، وكذا القرطبي نشأ في الأندلس ثم رحل إلى المشرق ولكنه كتب تفسيره ملتزماً لمنهج المدرسة الأندلسية وبقي على مذهبه المالكي، وكان كثير الذكر لعلماء

الأندلس ويقول قال علماؤنا يعني الأندلسيين[1].

ولهذا ـ أيضاً ـ لم نعد من رحل إلى الأندلس أندلسيا، فمكي بن أبي طالب نشأ في القيروان ورحل إلى الأندلس وكتب فيها تفسيره فكان يذكر الإسرائيليات دون تعقيب أو نقد[2] مخالفاً منهج المدرسة الأندلسية.

## أعلامها:

وبهذا التحديد نستطيع أن نحصر أعلام مدرسة الأندلس في التفسير، فهم ليسوا بالكثيرين[3] وإن كانوا في المقدمة وأشهرهم خمسة أو ستة:

١ ـ بقي بن مخلد.
٢ ـ أبو بكر بن العربي.
٣ ـ ابن عطية.
٤ ـ أبو عبد الله القرطبي.
٥ ـ ابن جُزَيّ الكلبي الغرناطي.
٦ ـ أبو حيان.

أما أولهم فلم يصلنا من تفسيره إلا أوراق قليلة لا تزال مخطوطة، أما البقية فقد وصلت إلينا كاملة وتمت طباعتها كلها، وفيما وصل إلينا من تفاسيرهم كفاية لتحديد معالم المنهج ورسم قواعد

---

(١) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله، ج١ ص ز و ص١.
(٢) مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: د. أحمد حسن فرحات، ص ٢٧٤.
(٣) وليسوا أيضاً بالقلة فقد وردت في كتب التراجم والطبقات أسماء كثيرة إلا أن مؤلفاتهم ضاعت أو أحرقت كغيرها من العلوم عند سقوط الأندلس حيث ارتكبت المذابح للمسلمين وأحرقت الكتب في حلقة من حلقات الحقد الصليبي.

المدرسة، وسنذكر تعريفاً سريعاً لأعلام هذه المدرسة الذين وصلت إلينا تفاسيرهم:

## ١ ـ أبو بكر بن العربي وتفسيره (أحكام القرآن):

هو: محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الأشبيلي المعروف بأبي بكر بن العربي، ولد في أشبيلية ليلة الخميس ٤٦٨/٨/٢٢ هـ.

كان أبوه من فقهاء أشبيلية وتلقى أبو بكر العلوم فيها وأتقن القراءات ثم انتقل إلى قرطبة، ولما بلغ السابعة عشر من عمره رحل مع والده إلى الحج وكانت رحلة في طلب العلم فاتصل بعدد من العلماء في بجاية والمهدية ومصر والشام وبغداد ومكة وعند عودته أقام في الإسكندرية وفيها توفي والده ثم عاد إلى أشبيلية واستغرقت رحلته عشر سنوات.

وفي أشبيلية أقبل عليه طلاب العلم وبدأ يلقى الدروس في المساجد حتى طارت شهرته وظهرت مؤلفاته وكثر تلاميذه، وتولى قضاء أشبيلية مع قيامه بالتدريس ثم انتقل إلى قرطبة ودَرّسَ فيها. وتوفي سنة ٥٤٣ هـ.

وكان رحمه الله تعالى مقدماً في المعارف متبحراً في العلوم حريصاً على نشرها إلا أنه كان حاد اللسان متعصباً لمذهبه المالكي، وقد ذكر الدكتور الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ أمثله على ذلك ثم قال: «فأنت ترى من هذه الأمثلة أن الرجل ليس عف اللسان مع الأئمة ولا مع أتباعهم، وهذه ظاهرة من ظواهر التعصب المذهبي»[١]، إلا أنه كان ينصف أحياناً ويؤيد خلاف مذهبه.

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج٢ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥.

**طريقته في التفسير:**

سلك فيه منهج التفسير الفقهي والتزم فيه المذهب المالكي، اقتصر على تفسير آيات الأحكام الفقهية. فيذكر السورة ثم يذكر عدد آيات الأحكام فيها ثم يأخذ في شرحها آية آية قائلاً الآية الأولى ثم يذكرها وفيها تسع مسائل (مثلاً) ثم يورد مسائل الآية واحدة واحدة مبيناً في هذه المسائل موضع نزولها وتاريخه وسببه إن وجد، ويذكر الأحاديث في فضلها إن ورد، ويبين القراءات الواردة فيها ويتحدث عن لغتها ونحوها ثم يفصل أحكامها ويعرض أقوال العلماء فيها وأدلتهم ويرجح غالباً مذهبه المالكي مع حدة لسانه ـ أحياناً ـ على المخالفين إلا أنه أحياناً أخرى يرجح غير مذهبه ويصرح بذلك[1].

**٢ ـ عبد الحق بن عطية وتفسيره المحرر الوجيز:**

وهو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الغرناطي الأندلسي، ولد في غرناطة سنة ٤٨١ هـ ونشأ فيها وتربى في بيت والده، وهو بيت علم وفضل، فقد كان والده عالماً حافظاً رحل إلى المشرق في طلب العلم وسمع من كبار العلماء.

وابن عطية أحد أعلام الأندلس الحائزين على قصب السبق في الفقه والحديث والتفسير والأدب. عده أبو حيان من أَجَلّ من صنف في علم التفسير[2]. وتوفي رحمه الله تعالى في (لُوْرَقة) في الأندلس سنة ٥٤١ هـ.

**تفسيره:**

وهو (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) قال عنه ابن

---

(١) انظر مثلاً المرجع السابق: ج٢ ص٤٥٠، وانظر ابن العربي المالكي الأشبيلي وتفسيره أحكام القرآن: د. مصطفى المشيني، ص ٣١٩.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٩.

جُزَيّ الغرناطي رحمه الله تعالى: «وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدد النظر. محافظ على السنة»[1]، وقارن أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ بينه وبين الكشاف فقال: «وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص»[2] وقارن بينهما ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: «وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري» ثم وصفه بأنه «يذكر ما يزعم أنه قول المحققين وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم وإن كان أقرب إلى السنة من المعتزلة»[3][4].

## طريقته في التفسير:

أنه يذكر الآية في تفسيره ثم يفسرها بعبارة عذبه سهلة، يورد من التفسير بالمأثور، وينقل عن ابن جرير الطبري ويناقش المنقول أحياناً إلا أنه يدع ـ كثيراً ـ ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال وإنما يذكر ما يزعم أنه قول المحققين كما قال ابن تيمية[5]، وهو يكثر من الاستشهاد بالشعر العربي، ويحتكم إلى اللغة العربية عند توجيه بعض المعاني، ويهتم كثيراً بالصناعة النحوية، ويتعرض كثيراً للقراءات

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، ج١ ص١٧.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص١٠.

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ص٩٠.

(٤) اتهم ابن عطية بالاعتزال وهي تهمة باطلة اثبت بطلانها عدد من الباحثين، انظر منهج ابن عطية: د. فايد ص٢١٩ وما بعدها، وانظر المدرسة الأندلسية في التفسير د. زيد بن عمر، ص٦٦٠ ـ ٦٨٢.

(٥) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية، ص٩٠.

المختلفة ويفسر بعضها ببعض[1].

وقد قامت وزارة الأوقاف المغربية بطبعه فصدرت بعض أجزائه سنة ١٣٩٥ هـ وصدر آخرها سنة ١٤١٢ هـ كما طبع في قطر على نفقة أميرها في خمسة عشر مجلداً كبيراً.

### ٣ ـ أبو عبد الله القرطبي وتفسيره الجامع لأحكام القرآن:

هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي القرطبي الأندلسي ولد ونشأ في قرطبة ولا يعرف تاريخ مولده وتلقى العلم ورحل إلى مصر وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ.

**تفسيره:**

وصف القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ تفسيره فقال: يتضمن نكتاً من التفسير، واللغات، والإعراب، والقراءات، والرد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهده لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما، بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف إلى أن قال: ـ «وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها. . . وأضرب عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه للتبيين، واعتضت من ذلك تبيين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوى عليه من أسباب النزول، والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب[2].

وبهذا يظهر أن تفسيره ـ رحمه الله تعالى ـ ليس تفسيراً لآيات الأحكام فحسب وإنما لجميع آيات القرآن وإن كان أولى آيات الأحكام تفصيلاً كاد

---

(١) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج١ ص٢٤٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣.

يغني عن كتب الفقه المقارن لما فيه من عرض للآراء الفقهيه وسوق للأدلة.

وقد التزم المذهب المالكي إلا أنه لم يتعصب له بل يرجح ما يرى صوابه أياً كان قائله بل كان ينتقد موقف ابن العربي من مخالفيه ويدافع عنهم ويرد عليه.

### ٤ ـ ابن جزي الكلبي وتفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل):

هو: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، ولد سنة ٦٩٣ هـ ولد ونشأ في غرناطة، قال عنه المقري: «مشاركاً في فنون من عربية، وفقه، وأصول، وقراءات، وأدب، وحديث، حُفَظة للتفسير، مستوعباً للأقوال، جَمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة»[1]. قتل ـ رحمه الله تعالى ـ في معركة طريف وهو يحرض الجيش سنة ٧٤١ هـ.

**تفسيره:**

يعد هذا التفسير من التفاسير الوجيزة بل إن المؤلف رحمه الله تعالى أشار إلى ذلك في مقدمته للتفسير[2].

وقد بين ـ رحمه الله تعالى ـ مقاصده من تأليف هذا التفسير بأنها أربعة مقاصد تتضمن أربع فوائد:

**الأولى:** جمع كثير من العلم في كتاب صغير الحجم تسهيلاً على الطالبين وتقريباً على الراغبين.

**الثانية:** ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة.

**الثالثة:** إيضاح المشكلات.

**الرابعة:** تحقيق أقوال المفسرين السقيم منها والصحيح، وتمييز الراجح من المرجوح.

---

(١) نفح الطيب: المقري، ج٨ ص٢٩.

(٢) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٤.

ثم بين منهجه في نقل الأقوال بأنه لا ينسب الأقوال إلى أصحابها إلا قليلاً وعلل ذلك بقلة صحة إسنادها إليهم أو اختلاف الناقلين في نسبتها إليهم. وإذا ذكر قولاً دون حكاية قوله عن أحد فهي إشارة إلى تقلده له ورضاه عنه. وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم يذكره تنزيهاً للكتاب وربما ذكره للتحذير منه(١).

## ٥ ـ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط:

هو: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، ولد في غرناطة سنة ٦٥٤ هـ، ونشى فيها وتلقى العلوم عن شيوخها ثم تنقل في الأندلس وأفريقيا ثم إلى مصر وأخذ عن علمائها، قال عن رحلاته (وارتحل من بلد إلى بلد حتى ألقيت في مصر عصا التسيار)(٢). وتوفي فيها ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٧٤٥ هـ قال عند الداودي: «نحوي عصره، ولغويه، ومفسره، ومحدثه، ومقرئه، ومؤرخه، وأديبه»(٣).

### طريقته في التفسير:

وقد بين أبو حيان طريقته في تفسيره بقوله: «أني ابتدىء أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب.. ثم أشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إذا كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشداً فيها القراءات شاذها ومستعملها ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها.. مجتهداً أني لا أكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة ولا في آية بل

---

(١) المرجع السابق: ج١ ص٤ ـ ٥.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٤.

(٣) طبقات المفسرين: الداودي، ج٢ ص٢٨٦.

أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ناقلاً أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلاً على الدلائل التي في كتب الفقه.. منكباً في الأعراب عن الوجوه التي تنزه القرآن عنها. ثم أختم الكلام بما ذكروا فيها من علم البيان والبديع ثم أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني ملخصاً جملها.. وقد ينجر معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير.. وربما ألممت بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ وتجنبت كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يحملونها الألفاظ وتركت أقوال الملحدين الباطنية[1].

هؤلاء الخمسة هم أشهر مفسري الأندلس[2] الذين وصلت إلينا تفاسيرهم وهم يرسمون ـ بحق ـ معالم مدرسة للتفسير مستقلة لها منهجها وصبغتها وخصائصها بل احتلت مكان الصدارة بين المفسرين في المشرق والمغرب. فتفسير أبي حيان من أفضل التفاسير في عرض القراءات القرآنية والدفاع عنها وتوجيهها وهو تفسير أندلسي، وتفسير ابن العربي والقرطبي أفضل وأشهر تفاسير آيات الأحكام القرآنية حتى يومنا هذا وهما أندلسيان، وتفسير ابن عطية من خير التفاسير وأفضلها وأثنى عليه العلماء قديماً وحديثاً وهو أندلسي.

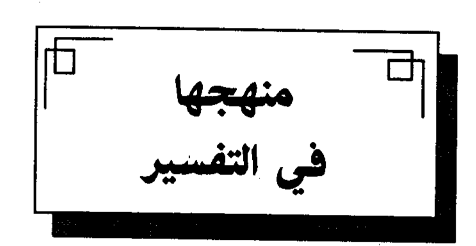
حتى ما لم يصل إلينا وهو تفسير بقي بن مَخْلَد قال عنه ابن حزم «فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا استثني فيه، أنه لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره»[3].

---

(١) نقلته بتصرف من مقدمة تفسيره: ج١ ص٤ ـ ٥.

(٢) ذكر د. زيد بن عمر في رسالته المدرسة الأندلسية في التفسير ٨٦ مفسراً أندلسياً وترجم لهم بإيجاز، انظر ص ٤٢٠.

(٣) نفح الطيب: المقري، ج٤ ص١٦٢، تذكرة الحفاظ: الذهبي، ج٢ ص٦٢٩.




قلنا إن ما ذكرنا من تفاسير الأندلس يرسم بحق معالم مدرسة خاصة للتفسير تتميز بمزايا وإن اشتركت معها في بعضها مدارس أخرى لكن مجموع هذه الخصائص يعطي صورة صادقة لمنهج خاص ينبىء عن مكانة هذا الجزء من البلاد الإسلامية ومنزلته وتأثره وتأثيره في الأمة الإسلامية وأنه يشكل قلباً نابضاً وشرياناً من شرايين الدولة الإسلامية أدرك الأعداء أهميته فسعوا لبتره ودأبوا لقطعه فهل ينجح الطب يوماً في وصله.

**المنهج الأثري:**

لا شك أن أفضل أنواع التفسير هو تفسير القرآن بالقرآن بأقوال الرسول ﷺ ثم بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - وهذا هو ما يسمى بالتفسير بالمأثور.

وقد اعتمد رجال المدرسة الأندلسية التفسير بالمأثور وأنزلوه منزلته وعرفوا فضله إلا أن اعتمادهم له لم يكن عملاً آلياً يخلو من النظر والتفكر، والموازنة والترجيح، بل كانوا ينقلون نقل المنقح المتدبر المتأمل المتفكر، فقد جعلوا القرآن نفسه العمدة في تفسير آياته وتحديد مقاصده وبيان أغراضه ورجعوا إليه في بيان الأحكام الشرعية والمسائل الفقهية والقضايا العقدية بل نتج عن هذا اهتمام خاص

بالقراءات والعناية بها كما سيرد بيانه إن شاء الله تعالى.

وأدركت المدرسة مكانة الحديث عامة والتفسير النبوي خاصة وأهمية ذلك بل جمعت المدرسة الأندلسية في تفسيرها كما يقول ـ بعض الباحثين ـ كل ما ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث تبين المحكم وتشرح المبهم وتفسر اللفظ المشكل وتبين الناسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد وما شابه ذلك[١].

وعلى الرغم من قول القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً لا يعرف من أخرجه إلا من اطلع على كتب الحديث فيبقي من لا خبرة له حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة والأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام»[٢]، وقول ابن العربي: «ولقد ألقيت إليكم وصيتي في كل وقت ومجلس ألا تشتغلوا من الأحاديث بما لا يصح سنده»[٣]، وعلى الرغم من دعوة ابن جزي إلى ضرورة ضبط الحديث بالرواية[٤] وانتقاد ابن حيان لبعض المفسرين لذكرهم ما لا يصح من الأحاديث[٥].

على الرغم من هذه الدعوة وهذا التأصيل إلا أن رجال المدرسة لم يلتزموا به التزاماً كاملاً وتمثل هذا في أربع صور:

---

(١) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ص٥١٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣.
(٣) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٢ ص٥٨٣.
(٤) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٧.
(٥) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٥.

**الأولى**: إيراد بعض الأحاديث من السنن وغيرها دون بيان لسندها أو ذكرٍ لراويها أو التعقيب عليها بالصحة أو الضعف. فابن عطية[1]، وابن جزي[2]، وأبو حيان[3] ينقلان الأحاديث عن السنن دون التعقيب عليها بالصحة أو الضعف ـ كثيراً والقرطبي[4] ـ أحياناً ـ وابن العربي ـ نادراً ـ[5].

**الثانية**: اختصار الحديث وذكر موضع الشاهد وهذا الأسلوب كان ظاهرة في تفاسير المدرسة الأندلسية حيث يذكرون موضع الشاهد منه أو ما يناسب المقام[6].

**الثالثة**: رواية الحديث بالمعنى ـ أيضاً ـ كان من مسالك المدرسة الأندلسية في التفسير حاشا ـ ابن العربي ـ الذي كان لا يجيز ذلك لغير الصحابي[7] وأجازه القرطبي ورد على ابن العربي[8].

**الرابعة**: وهي أخطر هذه الصور وهي رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة من غير بيان أحياناً لضعفها وإن كان ذلك قليلاً[9]،

---

(١) منهج ابن عطية في التفسير: عبد الوهاب فايد، ص١٣١.
(٢) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج١ ص٤٠٢.
(٣) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله، ج٢ ص٥١٩.
(٤) مدرسة التفسير في الأندلس: مصطفى إبراهيم المشيني، ص١٩٧، والمدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ج٢ ص٥٢٩.
(٥) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ج١ ص١٣٩، ١٤٠.
(٦) المرجع السابق: ج٢ ص٥٤٣ و٥٤٨؛ ومدرسة التفسير في الأندلس: المشيني، ص١٤٨؛ وانظر ابن جزي ومنهجه في التفسير، ج١ ص٤٠٧.
(٧) أحكام القرآن: ابن العربي، ج١ ص٢٢.
(٨) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٤١٢.
(٩) المرجع السابق: ج٢ ص٥٣٢، ومنهج ابن عطية في التفسير: ص١٣١ و ١٣٣.

فحديث تصدق علي - رضي الله عنه - بخاتمه وهو راكع ذكره ثلاثة من رجال المدرسة. في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[١] هم: ابن عطية والقرطبي وابن جزي بل بنى عليه القرطبي أحكاماً كجواز العمل القليل في الصلاة وإطلاق اسم الزكاة على صدقة التطوع[٢] وعده ابن جزي سبباً لنزول الآية[٣].

وكما ترى فإن ما ذكرت لا ينفي كثرة الاستشهاد والتفسير بالحديث النبوي بل إن تفسير ابن جزي وهو من أصغرها حجماً يحتوي على ثروة من الحديث - كما قال أحد الباحثين - لو اقتصر شخص على تخريجها لخرج برسالة قيمة في علمي الحديث والتفسير[٤].

وهذا ينبئك بعناية المدرسة الأندلسية بالتفسير بالسنة وهو أحد قواعد التفسير بالمأثور.

أما التفسير بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - فقد اعتنى به رجال المدرسة الأندلسية وأكثروا من الرواية عنهم إلا أن موقفهم من أقوال الصحابة في التفسير لم يكن القبول المطلق بل النقد والتمحيص، ولم يكن النقد والتمحيص متجهاً إلى السند كما فعلوا في الحديث وإنما اتجه إلى المتن ما لم يكن قول الصحابي فيما ليس للرأي فيه مجال فيعرضونه على قواعد الشرع العامة وأصول التفسير وقواعده[٥]،

---

(١) سورة المائدة: من الآية ٥٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٦ ص٢٢١ - ٢٢٢.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، ج١ ص٣٢٥.

(٤) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج١ ص٤٠٢.

(٥) انظر مثلاً رد القرطبي وابي حيان وابن جزي لما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ التوبة: ١٢ أنهم زعماء قريش. فردوه مستندين إلى تاريخ النزول حيث نزلت سورة برآءة بعد استئصال شأفة قريش.

وإذا ورد تفسير ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين روده ونبهوا عليه[1]، وإذا نسب لأحد من الصحابة - رضي الله عنهم - قول يخالف العقيدة السليمة ردوه[2].

ويكون الرد بنفي صحة نسبة القول إلى الصحابي أحياناً بقولهم مثلاً «لا يصح عن ابن عباس»[3] أو «وهذا لا يصح عندنا»[4] يعني نسبته إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - أو قولهم «ولعله لا يصح»[5] وأحياناً يكون بترجيح قولٍ آخر سواء كان لصحابي آخر أو قولٍ آخر لنفس الصحابي[6] أو لغير صحابي[7].

وكذا موقفهم من تفسير التابعين رحمهم الله تعالى فقد كانوا ينقدونه ويعارضونه بأقوال أخرى.

وكان أكثر اعتمادهم في النقل على مدرسة التفسير في مكة وهي مدرسة ابن عباس - رضي الله عنهما - ثم على مدرسة ابن مسعود - رضي الله عنه - في العراق ثم مدرسة أبي بن كعب - رضي الله عنه - في المدينة.

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص١١.
(٢) انظر مثلاً رَدّ ابن عطية وابن جزي لما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ فاطر: ١٠ بأن العمل الصالح الطيب هو الذي يرفع الكلم الطيب.
(٣) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص ٢٥٢؛ وانظر: التسهيل: ابن جزي، ج٣ ص٣٣٩.
(٤) أحكام القرآن: ابن العربي، ج١ ص٣٠٠ - ٣٠١.
(٥) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص١٩٢.
(٦) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٢٢٠ - ٢٢١.
(٧) المرجع السابق: ج٢ ص١٥١ - ١٥٢، وانظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٥ ص٢٥٦.

وإذا كانت المدرسة لا ترى وجوب الأخذ بقول الصحابي وإن كان هو المقدم عندها[١] فإنها من باب أولى لا ترى وجوب الأخذ بقول التابعي.

ومما له صلة بالتفسير بالمأثور وإن كان لا يسمى بالمأثور اعتماد المدرسة الأندلسية النقل من كتب التفسير السابقة وإيرادها مع أقوال الصحابة والتابعين وقد كثر ذلك من تفاسيرهم حتى أصبح ظاهرة.

فأكثروا النقل عن الطبري والزمخشري والماوردي والنقاش والسدي والقشيري والرازي وابن النقيب ومكي بن أبي طالب والمهدوي وغيرهم، ولم يكن نقلهم عن هؤلاء على حد سواء فمنهم من أكثروا النقل عنه ومنهم من كان نقلهم عنه قليلاً ولم يكن هؤلاء أيضاً على درجة واحدة في قبول التفسير، فمنهم من أوردوا تفسيره إيراد القبول أو النقد أو الرد مع التقدير للرأي ومنهم من أوردوا قوله للتنبيه عليه وإبطال تفسيره ويبقى النقل من مفسري المشرق والمغرب ظاهرة في تفاسير المدرسة الأندلسية.

وقد علل بعض الباحثين اهتمامهم بإيراد الأقوال والنقل عن هذه التفاسير بأن رجال المدرسة اعتبروا تفسير الصحابي من قبيل الموقوف وأنه مجرد رأي ولذا فهو عرضة للخطأ حتى الذين اعتبروه حجة إنما جعلوا حكم المرفوع لقول الصحابي إذا كان فيما لا مجال للرأي فيه وهو رأي لا تعارضهم فيه الطائفة الأولى وإذا تقرر هذا فإن رجال المدرسة الأندلسية لا يرون بأساً في قرن أقوال الصحابة والتابعين بأقوال غيرهم من المفسرين ويفاضلون بين الأقوال جميعاً[٢].

---

(١) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر، ج٢ ص٤٧٣.

(٢) مدرسة الأندلس في التفسير: مصطفى المشيني، ص٢٤١ ـ ٢٤٣.

ويبدو أن سبق المشرق للمغرب فضلاً عن الأندلس في العلوم الشرعية ومنها التفسير جعل مدارس التفسير في الأندلس مهيأة لتلقي نتائجه والأقوال الممحصة، والتفاسير المحققة بالقبول والعناية والاستفادة من أسبقيتها والاعتراف بفضلها وكثيراً ما استفاد اللاحق من السابق.

وبهذا العرض السريع يظهر لنا اهتمام مدرسة الأندلس في التفسير بالتفسير بالمأثور وعنايتهم به واعتمادهم له ليس اعتماد النقل بل اعتماد الفهم والتدبر والنقد والتمحيص.

وسأفرد الحديث عن موقفها من القراءات ومن الإسرائيليات بمبحثين مستقلين إن شاء الله لأهميتهما وجلاء موقف المدرسة فيهما.

### المنهج العقدي:

عند استقراء تاريخ نشأة الفرق الإسلامية نجد أنها تنشأ قريباً من دار الخلافة وذلك نتيجة اتجاه سياسي مخالف غرضه القضاء على الخليفة أو على الدولة فيصبغ أراءه بصبغة الدين ويتخذ الخلاف الديني حجة لإعلان التمرد والعصيان ويظهر هذا في نشؤ مذهبيّ التشيع والخوارج. وقد لا يكون كذلك ولكنه أيضاً ينشأ قريباً من دار الخلافة ومعمعة الأحداث كالاعتزال.

وحينما دخل الإسلام الأندلس لم تدخله هذه المذاهب والفرق. فكانت الأندلس بعيدة عن التيارات المنحرفة نائبة عن الإلحاد، سليمة من المذاهب الضالة والدعوات الهدامة إلا النزر اليسير.

ولذا كانت مدرسة التفسير في الأندلس حرباً على المعتزلة وأفكارهم لا يعرضون لتفسير آية فيها للمعتزلة تأويل أو تحريف إلا وبينوه وكشفوه وأبطلوا أدلتهم وشنعوا عليهم ولم تمنعهم مكانة تفسير

الزمخشري وعنايتهم وإعجابهم به من رد آرائه وإبطالها في مسائل العقيدة بل إن أبا حيان يورد إنكار الزمخشري للرؤية ثم يرد عليه وينقل أبياتاً في الرد على الزمخشري وفيها:

وجب الخسار عليك فانظر منصفاً    في آية الأعراف فهي المنصفة

ومنها:

لو صح في الإسلام عقدك لم تقل    بالمذهب المهجور من نفي الصفة[1]

فقد كاد أن يكفره.

وكذا كان موقف المدرسة من الرافضة حيث أبطلت عقائدها وكشفت زيفها بل كان رجال المدرسة يمقتون الرافضة وهذا القرطبي يقول: «وقد طعن الرافضة ـ قبحهم الله تعالى ـ في القرآن..»[2]، وقال ابن عطية عن أحد معتقداتهم «وهذا باطل وافتراء على الله وبهتان من القول»[3]، ووصفهم في موضع آخر بأهل الجهالة[4].

وكذا كان موقفهم من الفرق الضالة الأخرى فقد رصدها رجال المدرسة وردوا شبهاتهم وبينوا حُكْمَهم.

فالقدرية قال عنهم ابن العربي ـ وهو أحد رجال المدرسة «فأما القدرية فلا شك في كفرهم.. قال مالك لا يصلي على موتاهم ولا تعاد مرضاهم... وقد سئل مالك هل تزوج القدرية؟ فقال: لقد قال الله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ البقرة: ٢٢١[5].

---

(١) البحر المحيط: أبو حيان، ج٤ ص٣٨٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٥٦.

(٣) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج٨ ص٤١٦.

(٤) المرجع السابق: ج٨ ص٤٦٣.

(٥) أحكام القرآن: ابن العربي: ج١ ص٢٩٤.

والكرامية رد عليهم القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٨، فقال: «ففي هذا رد على الكرامية حيث قالوا إن الإيمان قول باللسان وإن لم يعتقد القلب.... وهذا منهم قصور وجمود وترك نظر لما نطق به القرآن والسنة من العمل من القول والاعتقاد... فما ذهب إليه محمد بن كرام السجستاني وأصحابه هو النفاق وعين الشقاق ونعوذ بالله من الخذلان وسوء الاعتقاد»[١].

وأما القرامطة فقال القرطبي عنهم: «الصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد»[٢].

وأما الخوارج فقال عنهم القرطبي: «لا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين وخرجوا منه، ولأنهم مخالفون للسنة الثابتة»[٣]، وقال ابن جزي عنهم: «ولا يعتد بقولهم»[٤]، وقال القرطبي ـ أيضاً ـ وهو يذكر من بدل أو غَيّرَ أو ابتدع في دين الله: «وأشدهم طرداً وإبعاداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها. فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون»[٥].

وأما الصوفية فقد رد عليهم ابن العربي قولهم: «المخلص يسجد لله محبة، وغيره يسجد لابتغاء عوض أو لكشف محنة فهو

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج ص١٩٣.
(٢) المرجع السابق: ج٤ ص١٤.
(٣) المرجع السابق: ج٥ ص١٢٥.
(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، ج٣ ص١٢٦.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٤ ص١٦٧ ـ ١٦٨.

الذي يسجد كرها» فقال «وغرض الصوفية ساقط. . . فما عَبَدَ الله نبي مرسل ولا وليّ مكمل إلا طلب النجاة»[1]، وقد وصف أبو حيان كتب ابن عربي الصوفي الفتوح المكيّة وعنقاء مغرب وغيرهما بأنهما «من كتب الضلال»[2]، ووصف غلاة الصوفية بأنهم «زنادقة تستروا بالانتماء إلى ملة الإسلام وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن إلى أن قال: «وكذلك ما ذكره صاحب التحرير والتحبير في آخر ما يفسره من الآيات مِنْ كلام مَنْ ينتمي إلى الصوف ويسميها الحقائق وفيها ما لا يحل كتابته فضلاً عن أن يعتقد. نسأل الله تعالى السلامة في دِيننا وعقائدنا وما به قوام ديننا ودنيانا»[3].

وليس ما ذكرته هو موقفهم وإنما هو إشارات إلى موقفهم من هذه المذاهب والفرق، كما أن هذا الموقف لا يعني أن مدرسة الأندلس كانت على مذهب أهل السنة والجماعة وإنما كانوا على المذهب الأشعري ما بين مؤول كالقرطبي وابن عطية ومفوض كابن جزي وهم ليسوا على درجة واحدة في ذلك.

وقد أخذ عليهم بعض الباحثين اتباعهم مذهب مالك في الفروع وتعصيب بعضهم له تعصباً ممقوتاً ومع هذا يخالفونه في الأصول ويستبدلون بمذهبه مذهباً آخر غيره كما قال الكرجي «وقد افتتن خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية وهذا والله سبة وعار، وفلته تعود بالوبال والنكال وسوء الدار على منتحل مذهب هؤلاء الأئمة الكبار فإن مذهبهم ما رويناه من تكفيرهم الجهمية والمعتزلة والقدرية والواقفية وتكفيرهم اللفظية»[4].

---

(١) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٣ ص١٠٩٨ ـ ١٠٩٩.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج٤ ص١٧٤.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان، ج٨ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣.

(٤) مجموع الفتاوى: ابن تيمية، ج٤ ص١٧٧.

وهذا الذي قلته عن موقف المدرسة من هذه الفرق إنما هو على سبيل الإجمال إذ من المتعذر ذكر موقف كل مفسر منهم على حِدَة، فالحديث عن المدرسة وليس عن آحادهم. فإن من آحادهم مَنْ يخالف في ناحية ويوافق في أخرى في الوقت الذي يَظْهَرُ الخلاف من غيره وهكذا.

وعلى سبيل المثال فإن ابن جزي ممن يرى أن الإيمان خلاف العمل فهو عنده مجرد التصديق[1]. ويميل ابن جزي إلى آل البيت ويتحامل على بني أمية[2] وله تأثر بالتفسير الصوفي[3] ومع هذا فقد عاب عليهم بعض آرائهم كما مر، وهذا التأثر الفردي في بعض المواضع لا يؤثر كثيراً فيما قلناه.

## المنهج الفقهي:

كان مذهب الأوزاعي رحمه الله تعالى هو المذهب السائد في الأندلس بعد الفتح، وأول من أدخله صعصعة بن سلام الأندلسي وهو من أصحاب الأوزاعي[4]، وقيل إنه دمشقي قدم مصر وإنما نسب للأندلس لاستقراره فيها[1] ولعل هذا هو الصحيح فقد كان مذهب الأوزاعي منتشراً في الشام وكان الأوزاعي في مصر.

ثم دخل المذهب المالكي الأندلس وغلب على مذهب الأوزاعي وكان أول من أدخله زياد شَبْطُون[5]، ولما تولى هشام بن عبد الرحمن

---

(١) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٧٢.
(٢) المرجع السابق: ج٤ ص٣٩ ـ ٤٠.
(٣) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج٢ ص٦٠٦.
(٤) جذوة المقتبس: الحميدي، ص٢٤٤، وبغية الملتمس: الضبي، ص٣٢٤.
(٥) جذورة المقتبس: الحميدي، ص٢١٨، وبغية الملتمس: الضبي، ص٢٩٤، ونفح الطيب: المقري، ج٢ ص٢٥١.

الخلافة وكان شديد الإعجاب بالإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ حمل الناس على اتباعه[1] وكان لا يُوَلّي قاضياً في الأندلس إلا بمشورة يحيى بن يحيى الليثي وكان لا يُوَلّي إلا المالكيين، ولذا قال ابن حزم (مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قِبَلِهِ من أقصى المشرق إلى أقصى عمل أفريقية فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه. ومذهب مالك عندنا بالأندلس فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء وكان لا يلي قاضٍ في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه»[2].

ومما قوى انتشاره العصبية الشديدة لمذهب مالك ـ رحمه الله تعالى ـ حتى قال المقدسي: «أما في الأندلس فمذهب مالك وهم يقولون: لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي ربما قتلوه، وبسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي إنما هو أبو حنيفة ومالك. وكنت يوماً أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي فقال: اسكت، من هو الشافعي!! إنما كانا بحرين: أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لأهل المغرب، أفنتركهما ونشتغل بالساقية!!»[3].

ولما تولى الحكم يعقوب بن يوسف هجر المذهب المالكي وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وبالغ يعقوب في تعصبه ضد المذهب المالكي حتى أمر بإحراق كتب الفقه المالكي بعد

---

(١) الحلل السندسية: شكيب أرسلان، ج١ ص٢٥٥.

(٢) نفح الطيب: المقري، ج٢ ص٢١٨ وبغية الملتمس: الضبي ص٥١١.

(٣) الحلل السندسية: شكيب أرسلان، ج١ ص٢٧٢.

تجريدها من الآيات والأحاديث، قال المراكشي: «ولقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار»[1].

إلا أن هذه الفتنة لم تؤثر على المذهب المالكي مما يدل على قوة انتشاره وتمكنه.

وإذا كانت هذه هي منزلة المذهب المالكي في الأندلس فلا عجب أن يلتزم رجال مدرسة الأندلس في التفسير المذهب المالكي وأن يقرروا قواعده ويبسطوا أصوله وينشروا فروعه ويظهر لي أن من سمات منهجهم:

١ ـ اهتمام المدرسة إجمالاً بآيات الأحكام.

ويتمثل هذا بعناية تفسيرين من أهم تفاسير المدرسة بآيات الأحكام ـ هما:

١ ـ أحكام القرآن: لابن العربي.

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي.

وقد فسّر الأول منهما آيات الأحكام خاصة وتوسع في ذلك وأفاض فكان يذكر السورة وعدد آيات الأحكام فيها ثم يأخذ في شرحها آية آية ذاكراً عدد المسائل في كل آية مفصلاً لأحكام كل مسألة.

وأعرض الثاني عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين واستعاض عن ذلك ببيان آيات الأحكام فضَمَّنَ كل آية تتضمن حكماً أو حكمين وأكثر مسائل. فإن لم تتضمن حكماً اكتفى بتفسيرها إجمالا[2]. وتظهر عنايته بآيات الأحكام باختيارها عنواناً للتفسير كله.

---

(١) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، ص٤٠٠.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣.

٢ ـ وقد أظهر رجال المدرسة الأندلسية في التفسير أنهم بلغوا شأواً في الفقه بل إن بعضهم كان من كبار فقهاء المالكية كابن العربي والقرطبي فقد عرضوا المسائل الفقهية وأظهروا براعة في استنباطها من الآيات بل بالغ بعضهم وتكلف في ذلك حتى عرض لأحكام الانتفاع بجلد الميتة عند قوله تعالى خطاباً لموسى عليه السلام: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾[1]، واحتمال أن تكون نعلا موسى عليه السلام دبغتا أو لم تدبغا!![2] وإن كان في ذلك تكلف فإن فيه دليلاً على طول النظر ودقة الاستنباط وهي ظاهرة عند رجال المدرسة خاصة ابن العربي والقرطبي.

ولم يقتصر عرضهم للمسائل الفقهية على المذهب المالكي بل كثيراً ما كانوا يعرضون آراء المذاهب الأخرى ويتوسعون في ذلك ويقارنون بين الأقوال والمذاهب ثم يعمدون إلى الترجيح بينها مما جعل تفاسير بعضهم أقرب ما تكون إلى موسوعات فقهية.

٣ ـ مسألة التعصب:

وقد أشار بعض الباحثين إلى العصبية المذهبية عند رجال مدرسة التفسير في الأندلس وأنه لمن الإنصاف أن نقول ـ باستثناء ابن العربي ـ أنهم أبرياء من هذه التهمة، نعم، هم من الملتزمين للمذهب المالكي والالتزام شيء والتعصب شيء آخر. أما ابن العربي ـ عفا الله عنه ـ فقد كان شديد التعصب للمذهب المالكي ولم يكن عف اللسان مع الأئمة ولا مع أتباعهم[3]، ومن الإنصاف أيضاً لابن العربي أن نقول

---

(١) سورة طه: الآية ١٢.

(٢) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٣ ص١٢٤٥.

(٣) التفسير والمفسرون: الذهبي، ج٢ ص٤٥٤ ـ ٤٥٥ وفيه ذكر لأمثلة على ذلك.

إنه مع تعصبه الشديد لمذهبه إلا أنه لم يصل إلى درجة قبول كل زلة علمية أو خطأ في الرأي من أصحابه بل كان يعرض آراءهم ويؤيدها أحياناً ويخالفها أحياناً أخرى يفند قول أصحابه ويؤيد أحياناً المذاهب الثلاثة الأخرى.

أما بقية رجال المدرسة فلا أثر للتعصب عندهم بل كان بعضهم كالقرطبي يسوق عبارة ابن العربي ويرد عليه تعصبه ويعيب عليه ذلك[1] ففي تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ...﴾[2] قال القرطبي: «قال ابن العربي: اعتقد قوم من الغافلين تحريم أسئلة النوازل حتى تقع تعلقاً بهذه الآية وليس كذلك.. ثم قال القرطبي.. قلت: قوله اعتقد قوم من الغافلين فيه قبح وإنما كان الأولى به أن يقول ذهب قوم إلى تحريم أسئلة النوازل لكنه جرى على عادته»[3] فالذي يعيب المدرسة بتعصب ابن العربي عليه أن يمدحها بإنصاف القرطبي وردوده على ابن العربي.

أما التزام رجال المدرسة الأندلسية للمذهب المالكي وإبرازهم لآرائه وتأييدهم لأقواله أو حتى الاقتصار عليها دون التعرض كثيراً للمذاهب الأخرى عند بعضهم فشأنهم في هذا شأن علماء المذاهب الأخرى ولا يعيبهم هذا فقد عاشوا في بيئة التزمت المذهب المالكي وتبنته ودرسه علماؤها وتلقوه عن مشايخهم ولم يجدوا فيه ما يوجب الإعراض عنه ليس عن تقليد محض وإنما بعد علم ومع هذا فقد كان لهم ـ حتى ابن العربي ـ ميل وتأييد للمذاهب الأخرى.

---

(١) المرجع السابق: ج٢ ص٤٦٢ ـ ٤٦٤ وفيه بيان لمواقف القرطبي من حملات ابن العربي على مخالفيه.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٣) تفسير القرطبي: ج٢ ص٣٣٢.

٤ ـ التفاوت بينهم في تفسير آيات الأحكام.

وقد كان التفاوت في تفسير آيات الأحكام بين رجال المدرسة جلياً وواضحاً فبينما اقتصر ابن العربي على آيات الأحكام وتوسع فيها كثيراً مع تعصب، وأفاض القرطبي في تفسيرها مع إنصاف، فإن بقية رجال المدرسة لم يتوسعوا في ذلك فقد اقتصر أبو حيان على إيراد أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من غير توسع أو إفاضة ولم يتعرض ابن عطية لبيان الأحكام إلا عندما تكون دلالة الآيات عليها ظاهرة جلية[1] وغالباً ما يكتفي بذكر رأي المالكية، وأما ابن جزي فهو وإن كان يعتني بها ويتوسع فيها بالنسبة لتفسيره فهو لا يعد متوسعاً بالنسبة لغيره.

٥ ـ موقفهم من المذاهب الفقهية:

وإذا كان رجال المدرسة الأندلسية قد بلغوا شأوا في الفقه وتمكنوا منه واعتنوا به عناية كبيرة فإن هذا ولا شك أدى بهم إلى عرض آراء المذاهب الفقهية الأخرى واستقصاء أقوال العلماء وبسط الأدلة وتوجيهها ومناقشتها والترجيح بينها، وعند استقراء هذه المباحث عند رجال المدرسة وموقفهم من آراء المذاهب الأخرى يظهر أن لهم موقفين من هذه المذاهب:

**الموقف الأول: القبول:**

وهو موقفهم من المذاهب الفقهية الثلاثة ـ غير مذهبهم المالكي ـ وهي: الحنفي والشافعي والحنبلي، وهو القبول وإيراد أقوالهم وأدلتهم ومناقشتها وترجيحها أحياناً على المذهب المالكي وإن كان ذلك قليلاً

(١) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: د. عبد الوهاب فايد، ص٣٧٣.

ولا عجب في ذلك فهذه المذاهب الأربعة هي التي تلقتها الأمة بالقبول وأقرتها وما سواها فغالباً ما يكون لفرقة انحرفت في الأصول فاستقلت في الفروع بمذهب كالرافضة والخوارج والأباضية وغيرهم.

ولم يكن إيراد المدرسة الأندلسية لأقوال هذه المذاهب على حد سواء فإن أكثر اهتمامهم بعد المذهب المالكي بالمذهب الحنفي ثم الشافعي ثم الحنبلي.

ولعل اهتمامهم بالمذهب الحنفي بسبب انتشاره، وكثرة أتباعه، وسبق نشأته لنشأة المذهبين الشافعي والحنبلي، وقد كان المذهب الحنفي منتشراً في المشرق والمالكي منتشراً في المغرب فكانت لهما الريادة، ولهذا لما ذكر المقدسي ـ في القصة التي سبق إيرادها ـ قولاً للشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قالوا له «اسكت من هو الشافعي!! إنما كانا بحرين: أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لأهل المغرب، افنتركهما ونشتغل بالساقية!!»[1].

كما أن عدداً من علماء المالكية رحلوا إلى المشرق ودرسوا هناك المذهب الحنفي وتلقوه من أصحاب أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ فظهر أثره في انتاجهم الفكري.

زد على هذا أن العلماء الأحناف ألفوا كتباً في تفسير آيات الأحكام وفق مذهبهم وتوسعوا فيه وبسطوا أصوله وفروعه كالجصاص.

وأما المذهب الشافعي فقد يكون لسبق نشأته للمذهب الحنبلي وانتشاره فضلاً عن تأليف علمائه كتباً في تفسير آيات الأحكام وفق المذهب الشافعي. كل هذا كان سبباً لقرب الحصول على آرائهم عند

(١) الحلل السندسية: شكيب أرسلان، ج١ ص٢٧٢.

مناقشة رجال المدرسة للأقوال الفقهية ومن ثم إيرادها.

أما المذهب الحنبلي فكان إيرادهم لأقوال علمائه قليلاً وصلتهم به ضعيفة ويرجع سبب ذلك إلى أمور:

**الأول**: أن الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ كان مُحَدِّثاً أشهر منه فقيهاً.

**الثاني**: أن مذهبه الفقهي لم ينتشر انتشاراً واسعاً في كافة الأقاليم خاصة في المغرب والأندلس(١).

**الثالث**: عدم تأليف الحنابلة كتباً مستقلة في تفسير آيات الأحكام كالمذهب الحنفي والشافعي فضلاً عن المالكي.

**الرابع**: تأخر تأليف أمهات مصادر الفقه الحنبلي.

ومع هذا كله فقد كان رجال المدرسة يوردون أقوال الحنابلة ويشيرون إليها أحياناً.

### الموقف الثاني: موقف الرفض والإنكار:

وكان هذا الموقف مع الظاهرية والشيعة الرافضة، والخوارج، فقد رفض رجال المدرسة هذه المذاهب الثلاثة ولم يوردوا أقوالهم غالباً إلا على سبيل الرد والإنكار والإبطال.

رفضت المدرسة المذهب الظاهري(٢). فهذا ابن العربي يقول عن الظاهرية عامة وعن ابن حزم خاصة «وكان أول بدعة لقيت في رحلتي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان في بادية أشبيلية يعرف بابن حزم، نشأ وتعلق بمذهب

---

(١) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج٢ ص٧١٥.

(٢) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله، ج٢ ص٦٩٤.

الشافعي ثم انتسب إلى داود ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة، يضع ويرفع، ويحكم ويشرع، وينسب إلى دين الله ما ليس فيه»[1]، وقال عن الظاهرية أنها «أمة سخيفة تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه[1]..»[2]، وقال عن داود: «وأما داود فإنا لم نراع خلافه»[3].

وابن عطية لا يرتضي مذهب داود الظاهري[4] ويرد رأيه ولا يرتضي حجته ولا يقبل دليله[5] ويرى أن رأيه خلف[6] أي رديء وخطأ ومخالف لرأي الأمة[7].

وكان ابن جزي أحياناً يرد على الظاهرية بعنف ويصفهم بالجهل بكلام العرب[8] وإذا وافق قولهم قوله أورده ولو خالف مذهب المالكية ففي قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[9] قال: «.. وليس في الآية ما يقتضي تحديد السفر وبذلك قال الظاهرية، وحده في مشهور مذهب مالك أربعة برد»[10].

---

(١) تذكرة الحفاظ: الذهبي، ج٣ ص١١٤٩ ـ ١١٥٠.

(٢) لا شك أنا لا نقبل هذه العبارات والأوصاف ونربأ بأنفسنا بابن حزم والظاهرية عنها لكن المقام بيان لموقف أحد رجال المدرسة الأندلسية.

(٣) أحكام القرآن: ابن العربي، ج١ ص١٧١.

(٤) منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: د. عبد الوهاب فايد، ص ١٧٤.

(٥) مقدمة تفسير ابن عطية: لمجموعة من المحققين، ص: ج١٠.

(٦) تفسير ابن عطية: ج٤ ص٧٥.

(٧) منهج ابن عطية، د. فايد، ص١٧٥، وانظر لسان العرب: ابن منظور، ج٩ ص٨٥.

(٨) ابن جزي ومنهجه في التفسير: علي الزبيري، ج٢ ص٧١٨ ـ ٧١٩، وانظر التسهيل: لابن جزي، ج١ ص١٢٥.

(٩) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(١٠) التسهيل: لابن جزي، ج١ ص١٢٥.

وكان القرطبي يورد أحياناً أقوال الظاهرية ويرد أكثرها ويسكت عن القليل النادر ويصف رأيهم بالشذوذ وبقوله: «لم يلتفت أحد من أئمة الفتوى إلى هذا القول» ويصفهم أحياناً بالتعسف في التأويل[1].

أما المذهب الرافضي فقد أشرت سابقاً إلى موقفهم من عقائد الشيعة وموقفهم هنا لا يقل عن موقفهم ذاك فهذا القرطبي وهو الرجل المنصف البعيد عن حدة العبارة أو الانفعال يصف الرافضة ببعدهم عن فهم الكتاب والسنة، والإعراض عما كان عليه سلف هذه الأمة وبالجهالة باللسان والسنة ومخالفة إجماع الأمة[2]، أما ابن جزي فإنه وصفهم بأنه لا يعبأ بقولهم[3]، ووصفهم ابن عطية بأنهم من أهل الجهالة[4].

ورفض رجال المدرسة فقه الخوارج وإن لم يكن هؤلاء بأصحاب مذهب فقهي إلا أن استقلالهم العقدي تولد عنه بعض الآراء الفقهية كغيره من الفرق والملل والنحل، وقد رفض رجال المدرسة فقههم كما رفضوا عقيدتهم، فقد وصفهم القرطبي بأنه لا يعتد بخلافهم حيث قال: «وأجاز الخوارج الجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها وخالتها[5]، ولا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين وخرجوا منه ولأنهم مخالفون للسنة الثابتة»[6]، وقال ابن جزي في موضع آخر «قال الخوارج لا رجم أصلاً، فإن الرجم ليس في كتاب الله، ولا يعتد بقولهم»[7].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٥ ص١١٧.
(٢) المرجع السابق: ج٥ ص١٧.
(٣) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٢٣٢.
(٤) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج٨ ص٤٦٣.
(٥) لا يصح هذا عنهم وانظر التعليق على هذا في تفسير القرطبي، ج٥ ص١٢٥.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٥ ص١٢٥.
(٧) التسهيل: ابن جزي، ج٣ ص١٢٦.

تلك من أبرز سمات الاتجاه الفقهي لدى رجال المدرسة الأندلسية في التفسير.

## المنهج اللغوي:

نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين فلا عجب أن تكون اللغة مفتاح معانيه وباب تفسيره، ولذا أجمع العلماء على أنه لا يجوز لأحد أن يتصدى لتفسير كتاب الله ما لم يكن عالماً بلغة العرب، فقد روي عن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: «لا أوتي برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلّا جعلته نكالاً»[1]. وقال مجاهد بن جبر ـ رحمه الله تعالى ـ «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب[1].

والجهل باللغة أحد أهم أسباب الانحراف في تفسير القرآن الكريم، قال الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ «عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب»[2].

وقد أدرك هذا رجال المدرسة الأندلسية في التفسير إذ إنهم نشاؤا في بيئة تهتم باللغة وتلقنها أول ما تلقنها لأطفالهم مع القرآن، فقد قال ابن خلدون: «وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي»[3].

لذا فقد تميز تفسيرالمدرسة الأندلسية بالاهتمام باللغة والعناية بها

---

(١) البرهان: الزركشي، ج١ ص٢٩٢، وانظر: البسيط، الواحدي، ج١ ص٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) البسيط: الواحدي، ج١ ص٢١٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ص٥٣٩.

في تفسير القرآن الكريم فقد كانوا علماء في اللغة علماء في التفسير وأكثرهم اهتماماً بذلك أبو حيان وابن عطية وأقلهم ابن العربي والقرطبي لاهتمامهما بالناحية الفقهية.

ويظهر اهتمامهم باللغة في رد التفاسير الخارجة عن مقاصد اللغة وما لا يقتضيه ظاهرها إذ إن من قواعد التفسير عندهم أن تحمل الألفاظ في القرآن على مقتضى اللغة العربية وعلى المعاني المعهودة عند العرب، وقد أكدوا ذلك في مقدمة تفاسيرهم، فقد قال ابن عطية في بيان منهجه «وأُثْبِتُ أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح رضوان الله عليهم كتاب الله تعالى من مقاصده العربية السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم فمتى وقع لأحد من العلماء الذين قد حازوا حسن الظن بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين نبهت عليه»[1].

ومنع القرطبي من يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيذكر قول الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2] ويشير إلى قلبه فقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وهو ممنوع لأنه قياس في اللغة وذلك غير جائز وقد تستعمله الباطنية في المعاني الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة»[3].

ورد ابن جزي التفسير الباطني حيث قال: «ومنهم من توغل في الباطنية وحمل القرآن على ما لا تقتضيه اللغة العربية»[4].

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص١٠ ـ ١١.

(٢) سورة طه: الآية ٢٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣٣ ـ ٣٤.

(٤) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص١٣.

وسلك هذا المنهج أبو حيان فقال: «وربما ألممتُ بشيء من كلام الصوفية مما فيه بعض مناسبة لمدلول اللفظ وتجنبتُ كثيراً من أقاويلهم ومعانيهم التي يُحَمّلُونَها الألفاظ وتركت أقوال الملحدين الباطنية المخرجين الألفاظ القريبة عن مدلولاتها في اللغة إلى هذيان افتروه على الله تعالى»[1].

وفي تفاسير رجال المدرسة الأندلسية ردود كثيرة لتفاسير خرجت عن مدلول اللفظ في اللغة فقد رد ابن عطية تفسير الظلمات بالكفر، والنور بالإيمان، في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ....﴾ الآية[2] فقال: «وهذا غير جيد لأنه إخراج لفظ بَيّن في اللغة عن ظاهره الحقيقي إلى باطن لغير ضرورة وهذا هو طريق اللغز الذي برىء القرآن منه»[3].

ورد أبو حيان تفسير الشمس والنجوم في قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾[4] بأن هذه الأشياء استعارات في كل ابن آدم وأحواله عند الموت فالشمس نفسه والنجوم عيناه وحواسه فقال: «وهذا مذهب الباطنية ومذاهب من ينتمي إلى الإسلام من غلاة الصوفية وقد أشرنا إليهم في خطبة هذا الكتاب وإنما هؤلاء زنادقة تستروا بالانتماء إلى ملة الإسلام وكتاب الله جاء بلسان عربي مبين لا رمز فيه ولا لغز ولا باطن»[5].

ومع هذا الإنكار الشديد للتفسير بما لا يدل عليه ظاهر اللفظ إلا

---

(١) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية الأولى.

(٣) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج٥ ص١٢٢.

(٤) سورة التكوير: الآيتان ١ ـ ٢.

(٥) البحر المحيط: أبوحيان، ج٨ ص٤٣٢.

أنا نرى بعض رجال المدرسة كالقرطبي[1] وابن حيان[2] وابن جزي[3] ينقلون عن الصوفية بعض تفاسيرهم إلا أن نقلهم كان قليلاً جداً مع التعقيب عليه أحياناً بأن اللفظ لا يقتضيه وإن كان حسناً.

وحتى لا نذهب بعيداً في التحذير من صرف اللفظ عن مدلوله الظاهر إذ إنه يجب أحياناً صرفه عن ظاهره فإن القرطبي رسم لنا الحد الآخر في الأخذ بظاهر القرآن، فقد ذكر وجهي المنع من التفسير بالرأي، فالوجه الأول ما ذكرناه آنفاً وهو صرف اللفظ عن مدلوله، ثم ذكر الوجه الثاني وهو «أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾[4] معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه والله أعلم»[5].

---

(١) انظر مثلاً جامع أحكام القرآن: القرطبي، ج٧ ص١٦٣، ج٣ ص٢٥١.
(٢) انظر مثلاً البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.
(٣) انظر مثلاً التسهيل: ابن جزي، ج٤ ص٢٤.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٥٩.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٣٤.

كما اعتنت المدرسة بالإعراب الذي قال عنه ابن عطية «إعراب القرآن أصل في الشريعة، لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع»[١] وشهرة اهتمام أبي حيان بالنحو والإعراب تغنى عن إيراد نصوصه حتى قال السيوطي «فالنحوي تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وأبي حيان في البحر والنهر»[٢].

وفي تفاسير الأندلس مكانة لعلم الاشتقاق لما له من تأثير كبير على تحديد المعنى المراد فقد تتبع رجال المدرسة كثيراً من الكلمات القرآنية وبينوا أصلها الذي اشتقت منه مرجحين بذلك بين الأقوال حتى صار قاعدة من قواعد الترجيح[٣].

أما البلاغة فتبدو ظاهرةُ قلة عناية رجال المدرسة الأندلسية[٤] بها وإيجازهم القول فيها وإن كانوا يؤكدون عليها في مقدمات تفاسيرهم[٥] وقد علل ابن خلدون تفوق المشارقة على المغاربة بأن هذا العلم (كماليٌّ في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في العمران. والمشرق أوفر عمراناً من المغرب... وإنما اختص بأهل المغرب من

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٢٥ وانظر تفسير بن جزي ج١ ص١٤.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، ج٢ ص٢٤٣.

(٣) انظر مثلاً إلى: تفسير القرطبي، ج١ ص١٠١؛ وتفسير ابن عطية، ج١ ص٨٤ - ٨٥؛ وتفسير أبي حيان، ج١ ص١٤؛ وتفسير ابن جزي، ج١ ص٥٣ في اشتقاق (اسم) وأثر ذلك. وانظر تفسير ابن العربي، ج١ ص٣١٤ - ٣١٥؛ والقرطبي، ج٥ ص٢٠ - ٢٢؛ وأبي حيان ج٣ ص١٦٥؛ وابن عطية ج٣ ص٤٩٣ - ٤٩٤ في اشتقاق (تعولوا).

(٤) انظر مدرسة التفسير في الأندلس: المشيني، ص٣٥١ و٣٨٢ و٤١٨ و٤٦٠؛ وانظر المدرسة الأندلسية في التفسير: د. زيد بن عمر، ج٢ ص٩٠٧.

(٥) تفسير ابن حيان، ج١ ص٥ و٦؛ وتفسير ابن جزي، ج١ ص١٤؛ وابن العربي، ج١ ص١.

أصنافه علم البديع خاصة وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية. . . . وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ وأن علم البديع سهل المأخذ وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة أنظارهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما»[١].

ولعلنا نلتمس تعليلاً آخر نستنبطه من ابن حيان فإن اهتمام المدرسة الأندلسية بالنحو وتميزهم به هو الذي أدى إلى قلة اهتمامهم بالبلاغة، وهذه إشارة قد نفهمها من قول أبي حيان: «أن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط كما يظنه بعض الناس بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة والتفنن في البلاغة، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير وقل أن نرى نحوياً بارعاً في النظم والنثر كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو، وقد رأينا من ينسب للإمامة في علم النحو وهو لا يحسن أن ينطق بأبيات من أشعار العرب فضلاً عن أن يعرف مدلولها أو يتكلم على ما انطوت عليه من علم البلاغة والبيان فأنى لمثل هذا أن يتعاطى علم التفسير»[٢].

وقد علل الدكتور زيد بن عمر ذلك بأن الفنون البلاغية ارتبطت بعد نشأتها بالمشرق بالمباحث الفلسفية، والفروض الجدلية. . حتى غدت الفنون البلاغية متداخلة مع المباحث الفلسفية وقد أعرض الأندلسيون عن الفلسفة والمناقشات الجدلية والفرضية فكان لذلك أثره في العلوم العربية والبلاغية[٣].

---

(١) مقدمة ابن خلدون: ص٥٥٢.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٩.

(٣) انظر المدرسة الأندلسية في التفسير: د. زيد بن عمر، ج٢ ص٩٠٨.

ثم ذكر تعليلاً آخر وهو ـ كما يقول ـ عُمْرُ هذه المصطلحات ويعني بذلك أن علم البلاغة لم تظهر مصطلحاته إلا متأخرة عن العلوم الأخرى ولهذا فإن بعض أعلام المدرسة الأندلسية المتقدمين كانوا يستعملون اصطلاحات عامة مثل ابن عطية الذي كان يطلق المجاز على الاستعارة وعلى التشبيه، وربما اعتبر بعضهم كل هذه الفنون من قبيل المجاز[1].

واستثنى من علوم البلاغة علم البديع فقد كان له مكانة في تفاسير الأندلس كما أشار ابن خلدون وذكر علة ذلك كما ذكره ـ أيضاً ـ الدكتور زيد[2].

إلا أنه ينبغي أن ننصف علمين من أعلام المدرسة وأولهما ابن جزي الذي كان أكثر اهتماماً بالبلاغة فقد ذكر في مقدمة تفسيره اثنين وعشرين نوعاً لأدوات البيان وجدها في القرآن كما يقول[3].

والثاني أبو حيان الذي كان يذكر بعد تفسير كل جملة من الآيات ما تضمنته من فنون بلاغية.

ولعل هذا يزيد من قوة التعليل السابق الذي ذكرناه لقلة اهتمام المدرسة بعلوم البلاغة وهو تأخر نشأة مصطلحاتها إذ إن هذين العلمين (ابن جزي وأبا حيان) متأخران فأدركا المصطلحات. وتَقَدّمَ بقيةُ رجال المدرسة فلم يدركوها.

ومع هذا فإنه لا يمكن القول أن البلاغة كانت سمة للمدرسة الأندلسية في التفسير بل يؤخذ عليها التقصير في ذلك[4].

---

(١) انظر المدرسة الأندلسية في التفسير: د. زيد عمر، ج٢ ص٩٠٩ ـ ٩١٠.
(٢) المرجع السابق: ج٢ ص٩١٧.
(٣) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٢١ ـ ٢٣.
(٤) المدرسة الأندلسية: د. زيد بن عمر، ج٢ ص٩٢٢.

## منهجها
## في بعض قضايا التفسير

تناول رجال المدرسة الأندلسية ـ شأنهم شأن غيرهم ـ عدداً من المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم والتي لا بُدّ للمفسر من تناولها ودراستها، ولعلي اذكر أمثلة لهذه العلوم لعلها تعطي صورة لكيفية تناول رجال المدرسة لها ومعالجتهم لمسائلها وسأتناول هنا:

١ ـ القراءات.

٢ ـ الإسرائيليات.

٣ ـ الإعجاز.

### أولاً ـ القراءات:

ولها مكانة كبيرة في تفاسير الأندلس وأولاها رجال المدرسة عنايتهم واهتمامهم.

وقد دخلت القراءات الأندلس في وقت مبكر فقد رحل أبو موسى الهواري ـ وهو من أهل الأندلس ـ إلى المشرق أول خلافة عبد الرحمن الداخل ولقي مالكاً ونظراءه وكان أول من أدخل القراءات إلى الأندلس وألّفَ فيها[1].

---

(١) القراءات والقراء بالمغرب: سعيد إعراب: ص١٤.

ولكنها لم تشتهر بل ذكر بعضهم أن القراءات لم تدخل الأندلس إلا في أواخر المائة الرابعة وأن أول من أدخلها أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي (ت ٤٢٩ هـ) وألف كتابه (الروضة)[1] ثم تبعه أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) فألف (التبصرة) و (الكشف)، ثم جاء بعدهما الإمام الحافظ أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) شيخ القراء في عصره وبلغ الغاية فيها وانتهت إليه رواية أسانيدها وتعددت تآليفه فيها وعول الناس عليها ومنها كتابه (التيسير)، ثم ظهر بعد ذلك أبو القاسم الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) وعمد إلى تهذيب ما دونه أبو عمرو الداني وتلخيصه ونظم ذلك في منظومة تعرف بالشاطبية عنى الناس بحفظها وتلقينها للطلاب[2].

ومع هذا فإن أبا حيان يرى تأخر الأندلسيين في علم القراءات وأن ليس في (التيسير) و (الشاطبية) إلا النزر اليسير منهما وأرجع ذلك إلى سببين:

**الأول**: أن بلاده جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقراء السبع لبعدها عن بلاد الإسلام.

**الثاني**: أن قراء الأندلس تلقوها عن القراء في مصر ولم يكن للمصريين إذ ذاك روايات متسعة ولم يرحلوا إلى غيرها من البلاد التي اتسعت فيها الروايات، وأرجع سبب قلة الروايات في مصر إلى غلبة الإسماعيلية وقتل ملوكهم العلماء.

ثم ذكر عدداً من القراء إلى أن قال: «والحاصل اتساع روايات

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء: ابن الجزري، ج١ ص١٢٠، والنشر في القراءات العشر: له: ج١ ص٣٤.

(٢) القراء والقراءات بالمغرب: سعيد إعراب، ص١٤ ـ ١٥.

غير بلادنا وأن الذي تضمنه (التيسير) و (التبصرة) و (الكافي)[1] وغيرها من تآليفهم إنما هو قلّ من كثرة، ونزر من بحر.

وبين مثالاً لذلك بأن هذه الكتب ذكرت قراءة نافع برواية ورش وقالون بينما روى عن نافع غيرهما منهم: إسماعيل بن أبي جعفر المدني، وأبو خلف، وابن حبان، والأصمعي، والسَّبْتي وغيرهم، ومن هؤلاء من هو أعلم وأوثق من ورش وقالون وكذا العمل في كل راوٍ وقارىء[2].

والناظر في تراث المدرسة الأندلسية يرى اهتماماً بالغاً بالقراءات وتراثاً خالداً وعلماء أفذاذاً هم في مقدمة أئمة القراءة فقد رحلوا إلى المشرق وتلقوا علم القراءات فعادوا إلى بلادهم الأندلس وعلموها وصنفوا فيها.

وقد تبوأت المصنفات الأندلسية في القراءات مكانة الصدارة، فقد عد ابن الجزري المصنفات التي اعتمد عليها في كتابه النشر وجعل في مقدمتها نحو عشرة كتب من مصنفات الأندلسيين[3].

فلا عجب بعد هذا أن يهتم رجال المدرسة الأندلسية في التفسير بالقراءات وذلك بالاهتمام بذكر القراءات المتواترة وتوجيهها، والرد على من أنكر بعضها كالمعتزلة وبعض النحاة، وذكر القراءات الشاذة بل قصد بعضهم كابن عطية (إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها)[4].

---

(١) التيسير لأبي عمرو الداني، والتبصرة في القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، والكافي في القراءات السبع لمحمد بن شريح الإشبيلي.

(٢) البرهان: الزركشي، ج١ ص٣٢٣ ـ ٣٢٦ (بتصرف).

(٣) النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج١ ص٥٨ وما بعدها.

(٤) المحرر الوجيز: ابن عطية. ج١ ص١١.

ومع هذا فقد اختلف موقفهم من القراءات المتواترة، فرغم اهتمامهم بها وإبرازهم لها وعنايتهم فقد انقسم موقفهم إلى **قسمين**:

**قسم**: يرى أن القراءات المتواترة لا يمكن ردها بزعم مخالفة القواعد العربية أو أنها غير فصيحة وعَدّ رَدّها إثماً كبيراً وهم ابن حيان والقرطبي وابن العربي بل قال أبو حيان عن إحدى القراءات المتواترة «وهذه قراءة متواترة، لا يمكن الطعن فيها، ويقرب إنكارها من الردة والعياذ بالله»[1]، ونقل القرطبي رَدّ الإمام أبي نصر عبد الرحمن القشيري على من رد القراءة المتواترة حيث قال: «ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي ﷺ تواتراً يعرفه أهل الصنعة وإذا ثبت شيء عن النبي ﷺ فمن رد ذلك فقد رد على النبي ﷺ واستقبح ما قرأ به، وهذا مقام محذور ولا يقلد فيه أئمة اللغة والنحو، فإن العربية تتلقى من النبي ﷺ ولا يشك أحد في فصاحته»[2].

**وقسم**: رد بعض القراءات المتواترة وهما: ابن عطية وابن جزي إلا أن ردهما لم يتجاوز بضع قراءات، ويبدو أنهما سايرا نحاة المغرب في إنكار بعض القراءات حيث نهجا نهج بعض النحاة في تحكيم قواعد اللغة والنحو ـ حسب ما يرونها ـ في صحة القراءات[3].

ومما رداه قراءة ابن عامر ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[4] فقال ابن عطية وابن جزي (هذه قراءة ضعيفة

---

(١) البحر المحيط: أبو حيان، ج٧ ص٣٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٥ ص٤.

(٣) منهج ابن جزي الكلبي الأندلسي في تفسير القرآن الكريم: د. محمد عبد الرحيم محمد. ص١٣٨، والمدرسة الأندلسية في التفسير: زيد بن عمر، ج٢ ص٨٦٢، ومدرسة التفسير في الأندلس: المشيني، ص٦١٥ ـ ٦١٦. ومنهج ابن عطية في التفسير: د. عبد الوهاب فايد، ص١٦٦.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٣٧.

في استعمال العرب ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظرف في مثل هذا إلا في الشعر)[1]، وقد دافع أبو حيان عن هذه القراءة المتواترة ورد على ابن عطية وعلى الزمخشري الذي رد هذه القراءة لمخالفتها ما زعمه من قواعد النحو قال أبو حيان متهكماً بالزمخشري (واعجب لعجمي ـ يعني الزمخشري ـ ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض ـ يعني ابن عامر ـ قراءة متواترة، أعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم»[2].

وبهذا يظهر أن منهج أبي حيان يعتمد على صحة سند القراءة، فإذا ثبت فلا يلتفت إلى أقوال النحاة وأمثالهم، لأن النحاة إنما وضعوا قواعد النحو بعد استقراءٍ ناقص كما قال أبو عمرو بن العلاء ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير، وما روى ابن سيرين عن عمر بن الخطاب أنه حفظ أقل ذلك وذهب عنهم كثيره ـ يعني الشعر ـ، وقال أبو الفتح: فإذا كان الأمر كذلك لم نقطع على الفصيح إذا سمع منه ما يخالف الجمهور بالخطأ ومع هذا[3] فقد استدل أبو حيان لصحة قراءة ابن عامر قال: «فَصَلَ ـ يعني ابن عامر ـ بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذا القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج٥ ص٣٦٠، والتسهيل: ابن جزي، ج٢ ص٤٠.
(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج٤ ص٢٣٠.
(٣) المرجع السابق: ج٤ ص٢٣٠.

اللحن في لسان العرب ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدة أبيات. . . إلخ»[١]. وكذا القرطبي فقد دافع عن قراءة ابن عامر ونقل قول القشيري عمن رد هذه القراءة «وقال قوم هذا قبيح، وهذا محال، لأنه إذا ثبتت القراءة بالتواتر عن النبي ﷺ فهو الفصيح لا القبيح وقد ورد ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان»[٢]، ثم ذكر توجية هذه القراءة.

ومن القراءات المتواترة التي ردها ابن عطية قراءة ابن عامر: ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾[٣] بالنصب وقد أيد ابن عطية قول أحمد بن موسى أنها لحن[٤] وقد رد عليه أبو حيان فقال: «وحكى ابن عطية عن أحمد بن موسى في قراءة ابن عامر أنه لحن وهذا قول خطأ لأن هذه القراءة في السبعة فهي قراءة متواترة، ثم هي بَعْدُ قراءة ابن عامر وهو رجل عربي لم يكن ليلحن وقراءة الكسائي في بعض المواضع وهو إمام الكوفيين في علم العربية فالقول بأنها لحن من أقبح الخطأ المؤثم الذي يجر قائله إلى الكفر إذ هو طعن على ما علم نقله بالتواتر من كتاب الله تعالى»[٥].

ومن القراءات المتواترة التي ردها ابن عطية وابن جزء قراءة: ﴿وَٱتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَٱلْأَرْحَامِ﴾[٦] بخفض الأرحام وهي قراءة حمزة قال ابن عطية: «وهذه القراءات عند رؤساء نحويي البصرة لا

---

(١) المرجع السابق: ج٤ ص٢٢٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٧ ص٩٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٤) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٤٦٣.

(٥) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٣٦٦.

(٦) سورة النساء: الآية الأولى.

تجوز» لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمر مخفوض»[1] وقال ابن جزي نحو هذا[2].

وقد رد ذلك أبو حيان رداً محكماً بعد أن عرض أدلة ابن عطية ومن نحا نحوه ورد عليهم واحتج لهذه القراءة بأدلة أطال فيها وأشار إلى مواضع أخرى أكثر تفصيلاً إلى أن قال: «وأما قول ابن عطية (ويرد عندي هذه القراءة من المعنى وجهان) فجسارة قبيحة منه لا تليق بحاله، ولا بطهارة لسانه إذ عمد إلى متواترة عن رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من في رسول الله ﷺ بغير واسطة عثمان وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وأقرأ الصحابة أبي بن كعب عمد إلى ردها بشيء خطر له في ذهنه وجسارته هذه لا تليق إلا بالمعتزلة كالزمخشري فإنه كثيراً ما يطعن في نقل القراء وقراءتهم»، ثم عرف بحمزة تعريفاً وافياً إلى أن قال: «وإنما ذكرت هذا وأطلت فيه لئلا يطلع غمرٌ على كلام الزمخشري وابن عطية في هذه القراءة فيسيء ظناً بها وبقارئها فيقارب أن يقع في الكفر بالطعن في ذلك، ولسنا متعبدين بقول نحاة البصرة ولا غيرهم ممن خالفهم»[3].

وهكذا نرى أن المدرسة الأندلسية انقسمت إلى قسمين قسم يدافع عن القراءات المتواترة بغيرة شديدة، وقسم يغلب عليه الاستناد إلى قواعد النحو الموضوعة فيرد بها بعض القراءات المتواترة.

وتعجب حين تجد أن ابن عطية ـ نفسه ـ يؤكد على ثبوت

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج٣ ص٤٨٣.

(٢) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٢٢٩.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان، ج ٣ ص١٥٩.

القراءات السبع بالإجماع فيقول: «ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة، وبها يصلى، لأنها ثبتت بالإجماع...»[1] ومع هذا يرد بعض القراءات المتواترة.

إلا إن الحق أن القراءات المتواترة التي ردها ابن عطية قليل إذ لم يتجاوز بضع قراءات وأغلبها من قراءة ابن عامر وحمزة، وهذا لا يخفف من خطورة ردها إذ القليل من رد المتواتر كثير والله المستعان.

## الترجيح بين القراءات المتواترة:

وكما انقسموا إلى قسمين في الموقف من القراءات المتواترة انقسموا أيضاً إلى قسمين في الترجيح بينها:

**فقسم**: يرى منع الترجيح بين القراءات وهو أبو حيان ـ وحده ـ من رجال المدرسة الأندلسية فيقول: «ولا وجه لترجيح إحدى القراءتين على الأخرى لأن كلاً منهما متواتر فيهما في الصحة على حد سواء»[2] ويقول: «وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءتين لا ينبغي، لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية ثابتة عن الرسول ﷺ ولكل منها وجه ظاهر حسن في العربية فلا يمكن فيها ترجيح قراءة عن قراءة»[3] ويقول: «وقد تقدم لنا غير مرة أنَا لا نرجح بين القراءتين المتواترتين»[4].

**وقسم**: يرى الترجيح بين القراءات المتواترة وهو بقية رجال المدرسة الأندلسية في التفسير. والترجيح بين القراءتين المتواترتين لا

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٤٩.

(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص١٩٩.

(٣) المرجع السابق، ج٢ ص٢٦٥.

(٤) المرجع السابق، ج٤ ص٨٧.

يعني تضعيف أو إسقاط القراءة المرجوحة وإنما يريدون منه أن القراءة المتواترة الراجحة أبلغ في المعنى وأفصح في اللغة ولا يرون بأساً في ترجيح الأبلغ والأفصح وإن كانت المرجوحة بليغة وفصيحة.

ويبدو لي أن الخلاف لفظي ذلكم أن الذين يرون الترجيح لا يسقطون صحة القراءة المرجوحة ولا يقللون منها فهم يوافقون أبا حيان الذي نرى أنه منع الترجيح خشية فهم بطلان صحة القراءة المرجوحة أو عدم التسوية بينهما في الصحة حيث قال: «لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية وثابتة عن الرسول ﷺ ولكل منها وجه ظاهر حسن» وقال: «لأن كلاً منهما متواتر فهما في الصحة على حد سواء» والذين يرون الترجيح لا يخالفونه في هذا بل قال القرطبي بعد أن رجح قراءة متواترة على أخرى (والقراءتان حسنتان)[١].

فإذا كان المانع لأبي حيان من الترجيح هو تساوي القراءتين المتواترتين في الصحة، فإن الفريق الآخر حين يرجح بينهما لا يقلل من صحة قراءة مرجوحة أن زيادة صحة لراجحة فظهر أن الخلاف لفظي والله أعلم.

**القراءات الشاذة:**

وليس بين رجال المدرسة الأندلسية في التفسير اختلاف يذكر في الموقف من القراءات الشاذة.

فقد أوردوا القراءات الشاذة على تفاوت بينهم فمنهم المكثر ومنهم المقل، وهم حين يريدونها لا يريدونها على أنها قرآن[٢] بل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٢ ص٢٣٨.

(٢) المرجع السابق: ج١ ص٤٧، والبحر المحيط: أبو حيان، ج٨ ص٤٩٣، ج٥ ص٨٥.

للتفسير لمخالفتها لخط المصحف[1] ولا يصلى بها[2] ولا يبنون عليها حكماً كما قال ابن العربي «والقراءة الشاذة لا يبنى عليها حكم لأنه لم يثبت لها أصل»[3] ولذا فلم يشترط أحد منهم التتابع في صيام كفارة اليمين مع وروده في قراءة ابن مسعود وأبيّ (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) لأنها قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف فلم يبنوا عليها حكماً[4]. وقال القرطبي «وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود: فصيام ثلاثة أيام متتابعات»[5].

وإذا كانوا لا يوردونها على أنها قرآن ولا يبنون عليها حكماً فإنهم يوردونها لأمور ثلاثة:

**الأول**: التنبيه عليها والتحذير منها:

قال ابن عطية «وأما ما يؤثر عن أبي السمال ومن قاربه فلا يوثق به وإنما أذكره في هذا الكتاب لئلا يجهل»[6] وذكر القرطبي إحدى القراءات وعقب عليه بقوله: «وهي قراءة شاذة بعيدة جداً، حتى زعم بعض العلماء أنها لا تجوز»[7].

**الثاني** الاستدلال اللغوي بها:

---

(١) المرجع السابق: ج١١ ص١٣١، والبحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص١٦١، ج٨ ص٤٩٣.
(٢) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٤٩، الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٤٧.
(٣) أحكام القرآن: ابن العربي، ج١ ص٧٩.
(٤) انظر أحكام القرآن: ابن العربي، ج٢ ص٦٥٤، والمحرر الوجيز: ابن عطية، ج٥ ص٢٤، والبحر المحيط: أبو حيان، ج٤ ص١٢.
(٥) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٤٧.
(٦) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٤٩.
(٧) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١١ ص٧٩.

قال أبو حيان «والقراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها»[1]، ولهذا فقد أكثر أبو حيان من ذكرها لأنه يرى لها وجهاً في اللغة، وقد مر بنا ثناؤه على ابن عامر ووصفه بأنه عربي لم يكن ليلحن[2] وأنه عربي صريح محض وأنه أخذ القرآن قبل أن يظهر اللحن[3].

**الثالث:** توجيهها:

توجيهها توجيهاً لغوياً[4] أو توجيهاً معنوياً[5] وسواء كان التوجه لتفيد معنى جديداً[6] أو لتوافق القراءة المتواترة[7].

ولعل هذا العرض السريع ينبىء عن مكانة القراءات في كتب تفسير المدرسة الأندلسية.

## ثانياً: الإسرائيليات

ومن المعلوم أن الإسرائيليات تنقسم إلى ثلاث أقسام:

**الأول:** ما ثبت بطلانه لمخالفته لما جاء في شرعنا ويجب رده وإنكاره.

---

(١) البحر المحيط: أبو حيان، ج٨ ص٤٩٣.

(٢) المرجع السابق: ج١ ص٣٦٦.

(٣) المرجع السابق: ج٤ ص٢٢٩.

(٤) انظر مثلاً: المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص١٣٠ وج٢ ص٣٨ وج٢ ص٤٠٠، والبحر المحيط: أبو حيان ج١ ص٣٠ وج١ ص١٠٠ وج١ ص١٥٢ وج١ ص٤٥٦ وج٢ ص٨٨ وج٢ ص٣٢٨، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص١٥٠ ـ ١٥١.

(٥) البحر المحيط: أبو حيان ج٢ ص١٠٠ والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٢ ص٩٢ ـ ٩٣، وج ١٤ ص٣٤٤.

(٦) البحر المحيط: أبو حيان، ج٢ ص١٠٠.

(٧) المرجع السابق، ج٢ ص١٠٠، والجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٢ ص٩٣.

**الثاني**: ما ثبت صدقه لموافقته لما جاء في شرعنا وهو صحيح وتجوز روايته.

**الثالث**: ما لم يثبت كذبه ولا صدقه لسكوت شرعنا عنه وعدم مخالفته لقواعد شرعنا فلا نصدقه ولا نكذبه وفي روايته إضاعة للوقت ولو كان في ذكره فائدة لورد في شرعنا.

وقد وقع في هذه الإسرائيليات كثير من المفسرين بل لا يكاد تفسير يخلو من ذكر لبعضها بل ورد في بعض التفاسير ما يخالف شرعنا من الإسرائيليات.

وإذا نظرنا إلى تفاسير المدرسة الأندلسية فإنا نراها ـ إجمالاً ـ نهجت نهجاً سليماً فقد حذرت من ذكر الإسرائيليات وروايتها ونقدت ما ورد منها في التفاسير وحافظت على تفاسيرها من تسرب الإسرائيليات إليها.

فهذا ابن العربي يذكر مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى في الإسرائيليات حيث يقول: «في هذا دليل على أن مالكاً كان يذكر من أخبار الإسرائيليات ما وافق القرآن أو وافق السنة أو الحكمة، أو قامت به المصلحة التي لم تختلف فيها الشرائع، وعلى هذه النكتة عَوّل في جامع الموطأ»[1]، ويقول هو: «ما وافق منه ـ يقصد ما روي في الإسرائيليات ـ ظاهرَ القرآن فهو صحيح، وما خالفه فهو باطل، وما لم يرد له فيه ذكر فهو محتمل، ربك أعلم به»[2].

وهذا ابن عطية يرسم منهجه في مقدمة تفسيره فيقول: «وقصدت أن يكون جامعاً وجيزاً، لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا

(١) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٣ ص١٤٢٣.

(٢) المرجع السابق: ج٣ ص١٢٥٤.

به»[1]، ولسلامة منهجه فيها، فقد أثنى عليه ابن خلدون في مقدمته حيث قال: «فلما رجع الناس إلى التحقيق والتمحيص وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسن المنحى»[2]، قال ابن خلدون هذا بعد حديثه عن الإسرائيليات واتبعه بالثناء على القرطبي حيث قال: «وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق»[4].

وقد نقل القرطبي عن ابن العربي نقل المؤيد قوله: «والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات، فأعرض عن سطورها بصرك، واصمم عن سماعها أذنيك، فإنها لا تعطي فكرك إلا خيالاً، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً»[3].

وقال القرطبي مبيناً منهجه في مقدمة تفسيره «وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بد منه، ولا غنى عنه للتبيين»[4].

وعقب ابن جزي على أقوال المفسرين في كيفية برود النار على إبراهيم عليه السلام بقوله: «وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه»[5]، كما أنه ـ رحمه الله تعالى ـ قد عاب على بعض المفسرين إيراد القصص غير

---

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص١٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون: ص٤٤٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١٥، ٢١٠.

(٤) المرجع السابق؛ ج١ ص٣.

(٥) التسهيل: ابن جزي، ج٣ ص٦١.

الصحيحة ثم بين منهجه فقال: «وقد أكثر بعض المفسرين من حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح حتى أنهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره مما فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام أوحكاية ما يجب تنزيههم عنه، وأما نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب من القصص على ما يتوقف التفسير عليه، وعلى ما ورد منه في الحديث الصحيح»[1].

وعاب أبو حيان على بعض المفسرين ذلك فقال: «وكذلك أيضاً ذكروا ما لا يصح من أسباب نزول، وأحاديث في الفضائل، وحكايات لا تناسب وتواريخ إسرائيلية ولا ينبغي ذكر هذا في علم التفسير»[2].

وفي تفسير ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[3] قال أبو حيان: «طول المفسرون في تفسير هذين الهمّين ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفُسّاق»[4]، ثم قال: «وقد طهرنا كتابنا هذا عن نقل ما في كتب التفسير مما لا يليق ذكره، واقتصرنا على ما دل عليه لسان العرب ومساق الآيات التي في هذه السورة مما يدل على العصمة وبراءة يوسف من كل ما يشين»[5].

وفي قصة سليمان عليه السلام قال أبو حيان: «وذكر المفسرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا عن ذكرها صفحاً وتكلمنا على ألفاظ الآية»[6].

---

(١) المرجع السابق: ج١ ص١٢ ـ ١٣.
(٢) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص٥.
(٣) سورة يوسف: الآية ٢٤.
(٤) البحر المحيط: أبو حيان، ج٥ ص٢٩٥.
(٥) البحر المحيط: أبو حيان، ج٥ ص٢٩٥.
(٦) البحر المحيط: أبو حيان، ج٧ ص٣٩١.

وفي خيل سليمان عليه السلام قال: «قد اختلفوا في عدد هذه الخيل على أقوال متكاذبة سودوا الورق بذكرها»[٢]، وعن فتنة سليمان عليه السلام قال: «نقل المفسرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها يوقف عليها في كتبهم وهي مما لا يحل نقلها وإما هي من أوضاع اليهود والزنادقة»[١].

ذلكم موقف رجال المدرسة الأندلسية في التفسير ومع هذا الموقف وهذا المنهج الدقيق الحكيم إلا أنهم وقعوا في رواية بعض الإسرائيليات وإن كان وقوعهم قليلاً بالنسبة لغيرهم وأكثرهم وقوعاً القرطبي رحمه الله تعالى الذي أكثر من إيراد الإسرائيليات.

ولكن ينبغي أن يعلم أن ما نقلوه من الإسرائيليات هو مما يوافق شرعنا أو مما لا يوافقه ولا يخالفه، أما ما يخالف شرعنا فمن النادر وجوده في تفاسيرهم ولا يعني هذا سلامة مجموع تفاسيرهم منه خلافاً لما قرروه د. زيد بن عمر حيث قال: «وأستطيع أن أقرر ـ بعد ما تقدم ـ أن تراث مدرسة الأندلس يخلو تماماً من الإسرائيليات المخالفة لقواعد الشرع»[٢].

ومن النادر الذي رووه وهو يخالف شرعنا ما رواه ابن العربي في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾[٣] فقد أورد قصة إسرائيلية فقال: وفي الإسرائيليات أن رجلاً كان قائماً يصلي فنظر إلى امرأة بإحدى عينيه، فتطأطأ إلى الأرض، فأخذ عوداً ففقأ به عينه التي نظر بها إلى المرأة وهي من خير عينٍ تحشر»[٤] ومن المعلوم أن هذا الفعل مخالف لشريعتنا يأثم فاعله فكيف تكون من خير عين تحشر!!.

---

(١) المرجع السابق: ج٧ ص٣٩٧.

(٢) المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد بن عمر، ج٢ ص٧٧٨.

(٣) سورة النور: الآية ٣٠.

(٤) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٣ ص١٣٦٦.

ومع هذا فإن تفاسير المدرسة الأندلسية أسلم التفاسير من الإسرائيليات إذ لا تكاد التفاسير عامة تسلم من ذلك على تفاوت. وأسلمهم أصحاب هذه المدرسة. وهم بذلك يعطون منهجاً سليماً لمن أراد أن ينقي التفاسير من هذه الروايات.

## ثالثا: إعجاز القرآن الكريم

قلنا أن قلة عناية المدرسة الأندلسية بالبلاغة ظاهرة من ظواهر التفسير عندها، فقد كانوا يوجزون القول فيها وإن كانوا يؤكدون عليها في مقدمات تفاسيرهم وذكرنا هناك تعليل ابن خلدون وغيره لذلك[1].

ونستطيع القول هنا أن الحديث عن إعجاز القرآن الكريم في المدرسة الأندلسية جاء من وجهين:

**الأول:** الجانب النظري.

وقد اعتنت به المدرسة وأبرزته في مقدمات التفسير ورجحت بين الآراء فيه واختارت قولاً واحداً واتفقت على رد غيره.

**الثاني:** الجانب التطبيقي:

وهو كشف وجوه البلاغة وأسرار البيان وربطها بإعجاز القرآن والإشارة إليه في مواضع متفرقة من القرآن حسب ورود الآيات، وهذا جانب قليل في تفسيرهم.

أما الجانب الأول فقد عقد ابن عطية في مقدمة تفسيره مبحثاً بعنوان «نبذه مما قال العلماء في إعجاز القرآن» عرض فيه أقوال العلماء في وجه الإعجاز في القرآن ونقد أقوالهم ورد بعضهم واختار ما يرى صحته[2].

---

(١) انظر ص٢٦ من هذا البحث.

(٢) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٥٩ ـ ٦٢.

وعد القرطبي[1] وابن جزي[2] عشرة أوجه لإعجاز القرآن الكريم وذكر أبو حيان منها ثمانية[3] والوجوه العشرة التي ذكروها هي إجمالاً:

١ ـ نظمه البديع.

٢ ـ أسلوبه.

٣ ـ الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال.

٤ ـ التصرف في لسان العرب.

٥ ـ الأخبار الغيبية في المستقبل.

٦ ـ الوفاء بالوعد.

٧ ـ الأخبار في أحوال الأمم الماضية.

٨ ـ علومه.

٩ ـ الحِكَمُ البالغة.

١٠ ـ التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

وذكروا وجهاً باطلاً للرد عليه وإنكاره وهو القول بالصرفه وهو الوجه الذي أجمعت المدرسة على القول ببطلانه وردوا عليه وبينوا ما يترتب على القول به[4].

وقد رجحت المدرسة وجهاً من وجوه الإعجاز للقرآن الكريم وهو وجه من أوضح وجوه والإعجاز ولم ينكره أحد من المفسرين فقالت إن إعجاز القرآن في فصاحته ونظمه وقد قرر ابن عطية هذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٧٣ ـ ٧٥.

(٢) التسهيل: ابن جزي، ج١ ص٢٣ ـ ٢٤.

(٣) البحر المحيط: أبو حيان، ج١ ص١٠٥.

(٤) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٦٠، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١ ص٧٥ ـ ٧٦، والبحر المحيط: ابن حيان، ج١ ص ٨.

فقال: «فكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقى من قبل محمد ﷺ فإذا تحُدّيت إلى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحُذّاق وهو الصحيح في نفسه، وأن التحدي إنما وقع بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه»[١].

وقرر هذا ابن العربي وبين أن الله سبحانه حجب عن نبيه ﷺ الشعر في قوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٢]، «لما كان الله قد ادخر منْ جعل فصاحة القرآن معجزة له ودلالة على صدقه، لما هو عليه من أسلوب البلاغة، وعجيب الفصاحة الخارجة عن أنواع كلام العرب اللسن البلغاء، الفصح المتشدقين اللد»[٣].

وقال أبو حيان: «من توغل في أساليب الفصاحة وأفانينها، وتوقل[٤] في معارف الآداب وقوانينها، أدرك بالوجدان أن القرآن في غاية من الفصاحة لا يوصل إليها، ونهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها، فمعارضته عنده غير ممكنة للبشر، ولا داخلة تحت القدر»[٥].

وقال القرطبي عن إعجاز القرآن الكريم: «إن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة»[٦] ونقل قول ابن عطية في أن وجه التحدي بالقرآن

(١) المحرر الوجيز: ابن عطية، ج١ ص٥٩ ـ ٦٠.
(٢) سورة الشعراء: الآية ٦٩.
(٣) أحكام القرآن: ابن العربي، ج٤ ص١٥٩٧.
(٤) قال في القاموس المحيط: الفيروز آبادي ص١٣٨١ «وَقَلَ في الجبل صعد كتوقل».
(٥) البحر المحيط، أبو حيان، ج١ ص٨.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج١ ص٧٥.

إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه[1].

ومع إجماع رجال المدرسة على أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم هو نظمه وفصاحته وبلاغته إلا أنا نرى الجانب الثاني الذي أشرنا إليه وهو الجانب التطبيقي ونعني به كشف وجوه والإعجاز البلاغي وأسرار الفصاحة في القرآن الكريم هو الجانب الذي لم تقم به المدرسة كما ينبغي بل قدمت صوراً قليلة موجزة لا تتناسب مع أهميته وتقرير المدرسة له وقد أشرنا إلى أسباب ذلك عند الحديث عن الاتجاه اللغوي عند رجال المدرسة[2] بما يغني عن إعادته هنا.

ونجد أن المدرسة تناولت بعض المباحث البلاغية وأشارت إليها عند تفسير بعض الآيات كالتشبيه والاستعارة، والطباق، والمشاكلة، والتقديم والتأخير، وأكثر ما عرضت من علوم البلاغة علم البديع.

وبهذا يتبين أن المدرسة أولت الجانب النظري في فصاحة القرآن وبلاغته وكونه وجه الإعجاز في القرآن عنايتها واهتمامها وقصرت في الجانب التطبيقي مع ورود جملة منه في تفاسيرها.

---

(١) المرجع السابق، ج ص٧٦ ـ ٧٧.

(٢) انظر ص ٤١ ـ ٤٣ من هذا البحث.

# خصائص المدرسة الأندلسية في التفسير

وبعد هذا العرض السريع لمنهج المدرسة الأندلسية في التفسير نستطيع أن نستخلص بعض خصائصه ومزاياه وسأعرضها محاولاً الإيجاز:

**١ ـ سهولة العبارة:**

فقد تميز رجال المدرسة بوضوح العبارة وسلاسة الأسلوب وبُعدِها عن التقعر والتكلف، وغموض المعنى، ولعل لهذا صلة ببعد المدرسة عن المناهج الفلسفية وما يحتاجه جلاء معانيها من ألفاظ معقدة لا تنجلي إلا بها.

ولذا فقد جاءت أغلب تفاسير المدرسة ميسرة يقرأها الناس على مختلف طبقاتهم ومستواهم العلمي فيدركون من معانيها الكثير.

ولا شك أن هذا الأسلوب من أسباب تلقي الناس له بالقبول وانتشاره بينهم وقد يكون التكلف في العبارة أو ركاكة التعبير من أسباب إحجام الناس عن بعض التفاسير.

ونؤكد أن تفاسير المدرسة جمعت مع سهولة العبارة جزالة المعنى وجودة السبك.

**٢ ـ رسم المنهج في مقدمة التفسير:**

وتميزت التفاسير الأندلسية برسم كل مفسر لمنهجه في مقدمة تفسيره وبيان القواعد التي سيسلكها والأصول التي يقوم عليها تفسيره،

وما سيعتني به من المباحث وما سيُعرض عنه، وغرضه من التفسير، وتكاد هذه الطريقة أن تكون خاصة بمفسري الأندلس ولم يسلكها إلا القليل من المفسرين في المشرق.

وهي لا شك طريقة محمودة تعين الباحث على مراده وتيسر له الحصول على طلبه وترشده إلى مظان غرضه.

**٣ ـ كثرة النقول في تفاسير المدرسة الأندلسية:**

وهي وإن كانت تشارك مفسري المشرق في النقل عن الصحابة والتابعين وتابعيهم إلا أن المدرسة الأندلسية تميزت بكثرة النقل عن المفسرين أنفسهم سواء كانوا في الشرق أو في الأندلس، بل نستطيع القول إنها استفادت من جميع كتب التفسير التي ظهرت بالمشرق وحفظت لنا تراث المشرق وأسماء التفاسير التي فقدت بعد ذلك[1].

واستفاد بعض رجال المدرسة من بعض، فقد نقل القرطبي كثيراً من ابن عطية وابن العربي، ونقل أبو حيان عنهما وعن القرطبي ونقل ابن جزي عن ابن عطية.

**٤ ـ الاستقلال في الرأي:**

ومع كثرة النقول، فقد كانوا لا يكتفون بمجرد النقل بل يوردون ما يوردون أحياناً للاستدلال على قول ذهبوا إليه، أو مذهب مالوا إليه وأحياناً يكون النقل للرد على الرأي المنقول وإبطاله.

**٥ ـ عرض الأقوال واستيفاؤها:**

وكثرة النقول يقصدون بها أحياناً استيفاء آراء المفسرين في تفسير آية، والاحتمالات التي يمكن أن تفسر بها الآية.

---

(١) المدرسة الأندلسية في التفسير: د. زيد عمر. ج١ ص٥٠٢.

٦ ـ تحرير المسائل:

والاعتماد على المصادر الموثوقة وتوجيه الأقوال واستيفاء الأدلة ولعل هذا من أسباب كثرة نقولهم عن المفسرين وتعدد الأقوال في المسألة الواحدة.

٧ ـ تمحيص الروايات والأخبار والتثبت منها:

وقد مر بنا قول ابن العربي وهو يعرض بعض الأخبار فيقول: «فانظروا إليه فما وافق منه ظاهر القرآن فهو صحيح وما خالفه فهو باطل، وما لم يرد له فيه ذكر فهو محتمل ربك أعلم به»[١] فهم يعرضون ما أوردوه من أقوال وأدلة على الكتاب والسنة ويتثبتون من الروايات وصحتها حتى يكون ترجيحهم قائماً على أصول صحيحة وقواعد سليمة وكثيراً ما عقب رجال المدرسة على أعلام المفسرين في المشرق بعد ذكر أقوالهم واعترضوا على بعض أقوال علماء اللغة وردوا بعض أقوال الفقهاء.

٨ ـ العناية بالقراءات:

وتميزت تفاسير الأندلس بالعناية بالقراءات والاهتمام بها المتواتر منها والشاذ والناظر في تراثهم يرى تراثاً خالداً وعلماء أفذاذاً، هم في مقدمة أئمة القراءة، ويرى مصنفاتهم قد تبوأت مكان الصدارة، وقد ذكرنا أن ابن الجزري عد المصنفات التي اعتمد عليها في كتابة النشر فجعل في مقدمتها أكثر من عشرة كتب للأندلسيين.

كما اعتنوا بالرد على من أنكر بعض القراءات المتواترة من المعتزلة وبعض النحاة وذكروا القراءات الشاذة للتنبيه عليها أو للاستدلال اللغوي بها أو لتوجيهها حتى توافق قراءة متواترة أو لتفيد معنى جديداً.

---

(١) أحكام القرآن؛ ابن العربي، ج٣ ص١٢٥٤.

**٩ - العناية بعلوم القرآن:**

والقارىء في تفاسير المدرسة الأندلسية يجد عندهم عناية فائقة بعلوم القرآن الكريم.

وتميزت تفاسيرهم بتلك المقدمات التي عنوا فيها بالحديث عن علوم القرآن الكريم وما يتصل بالتفسير منها.

وأوسع هذه المقدمات مقدمة القرطبي التي أفاض فيها بالحديث عن هذه العلوم حتى قارب حديثه المئة صفحة.

وكل مقدمات رجال المدرسة اعتنت بذلك إلا ابن العربي ولعله استغنى عن ذلك بكتابه قانون التأويل[١].

هذا فضلاً عن المباحث الكثيرة في بطون تفاسيرهم عن علوم القرآن، كالقراءات والنسخ وأسباب النزول وإعراب القرآن.

**١٠ - البعد عن التيارات المنحرفة وسلامتها من آراء الفرق المختلفة في العقيدة:**

فقد حاربت كثيراً آراء الرافضة والمعتزلة وشطحات الصوفية والإسرائيليات التي تنال من عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ونتيجة لذلك فلم يظهر تفسير في الأندلس للشيعة أو للمعتزلة وغيرهم من الفرق كما ظهر في الشرق.

**١١ - التوسع في الأحكام الفقهية:**

وليس أدل على ذلك تخصيص تفسير بأكمله لآيات الأحكام وهو تفسير ابن العربي، وتسمية آخر لتفسيره بالجامع لأحكام القرآن وهو القرطبي وإن كان قد تناول غيرها إلا أن تناوله لآيات الأحكام كان بتوسع وشمول.

---

(١) طبع في مجلد واحد بتحقيق: محمد السليماني.

ثم يأتي بقية رجال المدرسة الذين تناولوا آيات الأحكام وأعطوها حقها من العناية والبحث، وتعتبر تفاسير الأندلس بمجموعها موسوعة في الفقه خاصة الفقه المالكي.

**١٢ ـ محاربة الإسرائيليات:**

فقد حذر رجال المدرسة من الإسرائيليات ونبهوا إلى خطرها ورسموا المنهج لروايتها وإيرادها في كتب التفسير.

وقد التزم رجال المدرسة بمنهجهم إجمالاً فلم يوردوا إلا القليل منها وما أوردوه منها فهو مما لا يخالف شريعتنا إلا نادراً، وخالفوا بهذا منهج المفسرين في المشرق الذين كثروا من رواية الإسرائيليات ومن غير تحرٍ لصحتها عند بعضهم.

**١٣ ـ عدم التوسع في المسائل البلاغية:**

ولم يكثر رجال المدرسة الحديث عن وجوه البلاغة في القرآن الكريم مع معرفتهم لمباحثها وذكرهم لها قد مقدمات تفاسيرهم بل مالت المدرسة إلى الإيجاز في ذلك وعدم التوسع في مباحثها.

**١٤ ـ الإعراض عن المباحث الفلسفية والمسائل الكلامية، والفروض الجدلية:**

وقد يكون لهذا صلة ببعدهم عن التيارات المنحرفة والفرق الضالة التي وقع أهلها في تلك المباحث حيث لا تقوم بعض قواعدهم إلا على التكلف والفروض الجدلية البعيدة عن صفاء العقيدة ونقائها وكل العلوم لها عند أهل الأندلس حظ إلا الفلسفة والتنجيم[1].

---

(١) الحلل السندسية: شكيب أرسلان ص٢٥٤، وقد نقله باختصار يسير عن ابن سعيد في (المغرب).

## ١٥ ـ الإصلاح الاجتماعي:

وذلك بربط تفسير الآيات بالواقع والمجتمع الذي يعيشون فيه فيشيرون إلى الانحرافات السلوكية والعقائدية في مجتمعهم سواء كانت من العامة أو من بعض المنتسبين إلى العلم أو من الحكام فحاربوا البدع والمنكرات، وحذروا من المعتقدات الزائفة، والطرق الصوفية الضالة، والتمسوا علاجها من آيات القرآن الكريم فبينوه وشخصوا الداء ووصفوا الدواء.







## النتائج

وبعد هذا العرض السريع نتوصل إلى النتائج التالية:

**أولاً**: عظمة الإسلام وقوته إذا استطاع أن يحول في سنوات معدودة المجتمع الأندلسي إلى مجتمع مسلم متحضر ولا تزال إلى يومنا هذا آثارهم شاهدة على هذه الحضارة.

**ثانياً**: أن الإسلام دين خير وفضيلة، وبناء وإصلاح وذلك أنه حول الأندلسيين إلى جزء من الأمة لا فرق بين عربيها وعجميها ولم يعامل الأندلسيين معاملة الإذلال والتسخير أو يميز بينهم وبين سائر المسلمين أو يعطي امتيازات للفاتحين في المال أو التعليم أو المنصب، فقد خرج الحكام والعلماء والقضاة والجند من أهل الأندلس أنفسهم. ولنا في التاريخ القديم والحديث عبرة مما تفعله دول الاحتلال والاستعمار من إذلال لأهل البلاد وامتهان لكرامتهم ونهب لأموالهم وإفساد لأخلاقهم.

**ثالثاً**: أن التحول الذي أحدثه الإسلام في أهل الأندلس خرج منهم علماء بزوا أقرانهم في الشرق والغرب وبَوّأهم مكانة سامية بين العلماء وألفوا كتباً من خيرة المؤلفات الإسلامية في شتى العلوم والمعارف خاصة علم التفسير فأفضل تفسير تعرض للقراءات ودافع عنها ووجهها لأبي حيان، وأفضل تفاسير آيات الأحكام لابن العربي مع تعصبه، وأفضل تفسير بالمأثور تفسير بقي بن مخلد، وتفسير ابن

عطية من أفضل التفاسير وكلهم من بلاد الأندلس.

**رابعاً:** أن في قوة الإسلام وانتشاره قوة للغة العربية وسعة انتشارٍ، فما إن دخل الإسلام بلاد الأندلس حتى أقبل أهل الأندلس على تعلم اللغة العربية حتى صارت لغتهم الرسمية من غير سلطة تجبرهم على ذلك وإنما رغبة في معرفة هذا الدين حتى صار منهم أئمة في اللغة العربية يُقَوّمون ما أعوج من ألسنة أهلها.

**خامساً:** أن للأندلسيين منهجاً متميزاً في التفسير له أصوله وقواعده وخصائصه ومناهجه وهو منهج تنوعت مصادره واستفاد ممن سبقه، ودرس التفاسير وخاض البحار وطاف في الآفاق حتى قدم هذه التفاسير المتميزة.

ولا شك أن المفسرين في الأندلس قد خطوا خطوة نحو تنقية التفاسير في المشرق مما شابها، ورسموا منهجاً يحتذى.

وهم بنقد بعضهم لبعض ـ أحياناً ـ يعطون إذناً بالدعوة إلى خطوة أخرى بتنقية تفاسيرهم والاستفادة من منهجهم وأخذ ما حسن في تفاسير غيرهم وإضافته إلى تفاسيرهم ليخرج لنا تفسير أكثر صفاء ونقاء.

والله المستعان وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

# المصادر(*)


١ ـ ابن جزي ومنهجه في التفسير: على محمد الزبيري، دار القلم ـ دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ.

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر ـ الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ.

٣ ـ أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ.

٤ ـ البحر المحيط: أبوحيان الأندلسي، دار الفكر ـ الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.

٥ ـ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ.

٦ ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس: أحمد بن يحيى الضبّيّ، دار الكاتب العربي ١٩٦٧.

٧ ـ تذكرة الحفاظ: أبو عبد الله الذهبي، مطبعة مجلس إدارة المعارف العثمانية بحيدر آبار ـ الهند، الطبعة الثالثة ـ ١٣٧٥ هـ.

٨ ـ التسهيل لعلوم التنزيل: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: اليونسي وإبراهيم عطوه، دار الكتب الحديثة ـ مصر.

٩ ـ تفسير البسيط: أبو الحسن الواحدي، تحقيق: د. محمد بن صالح الفوزان ـ رسالة دكتوراه ١٤٠٩ هـ مطبوعة على الآلة الكاتبة مقدمة إلى قسم القرآن وعلومه كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠ ـ التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة ـ مصر.


(*) لم أذكر في المصادر إلا ما نقلت منه نصاً.

١١ ـ الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٢ ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس: أبو عبد الله الحميدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦.

١٣ ـ الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية: الأمير شكيب أرسلان، دار الحياة بيروت.

١٤ ـ طبقات المفسرين: شمس الدين محمد بن علي الداودي تحقيق: علي محمد عمر مكتبة وهبة ـ القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ.

١٥ ـ غاية النهاية في طبقات القراء: شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٦ ـ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

١٧ ـ القراءات والقراء بالمغرب: سعيد إعراب، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

١٨ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ـ تصوير ـ الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.

١٩ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق: الرحالي الفاروق وآخرين طبع على نفقة أمير دولة قطر، الطبعة الأولى الدوحة ١٣٩٨ هـ.

٢٠ ـ المدرسة الأندلسية في التفسير: زيد عمر عبد الله رسالة دكتوراه مقدمة كلية أصول الدين قسم القرآن وعلومه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٤ هـ مطبوعة على الألة الكاتبة.

٢١ ـ مدرسة التفسير في الأندلس: مصطفى المشيني، مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٢٢ ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري الأسيدي الدباغ زاده وعلقه أبو الفضل التنوخي، تحقيق: إبراهيم شبوح القاهرة (١٣٨٨ هـ).

٢٣ ـ المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، دار الكتاب ـ الدار البيضاء.

٢٤ ـ مقدمة ابن خلدون: الطبعة الثالثة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٥ ـ مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية تحقيق: د. عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت ـ الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ.
٢٦ ـ مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن: د. أحمد حسن فرحات، دار الفرقان ـ الأردن الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ.
٢٧ ـ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم: د. عبد الوهاب فايد ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٣٩٣ هـ.
٢٨ ـ النشر في القراءات العشر: محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٢٩ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقري، دار الكتاب العربي ـ بيروت، تحقيق: د. محمد محيي الدين عبد الحميد.





# للمؤلف

## تأليف:

١ - منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (مجلدين) الطبعة الخامسة ١٤١٤.

٢ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (٣مجلدات) الطبعة الثانية ١٤١٤.

٣ - الصلاة في القرآن الكريم مفهومها وفقهها الطبعة السادسة ١٤١٤.

٤ - خصائص القرآن الكريم الطبعة الثامنة ١٤١٤.

٥ - دراسات في علوم القرآن الكريم الطبعة الرابعة ١٤١٥.

٦ - بحوث في أصول التفسير ومناهجه الطبعة الثالثة ١٤١٧.

٧ - قصة عقيدة الطبعة الأولى ١٤١٤.

٨ - البدهيات في القرآن اكريم (دراسة نظرية) الطبعة الأولى ١٤١٧.

٩ - البدهيات في الحزب الأول من القرآن الكريم (دراسة تطبيقية) الطبعة الأولى ١٤١٧.

١٠ - وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف الهجائية المقطعة في أوائل السور الطبعة الأولى ١٤١٧.

١١ - التفسير الفقهي في القيروان حتى القرن الخامس الهجري الطبعة الأولى ١٤١٧.

١٢ - منهج المدرسة الأندلسية في التفسير (صفاته وخصائصه) الطبعة الأولى ١٤١٧.

١٣ - مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها الطبعة الأولى ١٤١٧.

## تحقيق:

١ - تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الخامسة ١٤٠٩.

٢ ـ تفسير سورة الفلق للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الثالثة ١٤١٤.

٣ ـ تفسير سورة الناس للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الثانية ١٤١٤.

٤ ـ تفسير سورة الفاتحة للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى (مختصر) الطبعة الثانية ١٤١٥.

٥ ـ فضائل القرآن الكريم للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الطبعة الأولى ١٤١٧.

**بالاشتراك:**

١ ـ الموسوعة الإسلامية الميسرة (مجموعة من الباحثين من العالم الإسلامي) ١٠ مجلدات.

٢ ـ طرق تدريس التجويد وأحكام تعلمه وتعليمه (مع الدكتور محمد الزعبلاوي) الطبعة الأولى ١٤١٧.



# المحتويات



